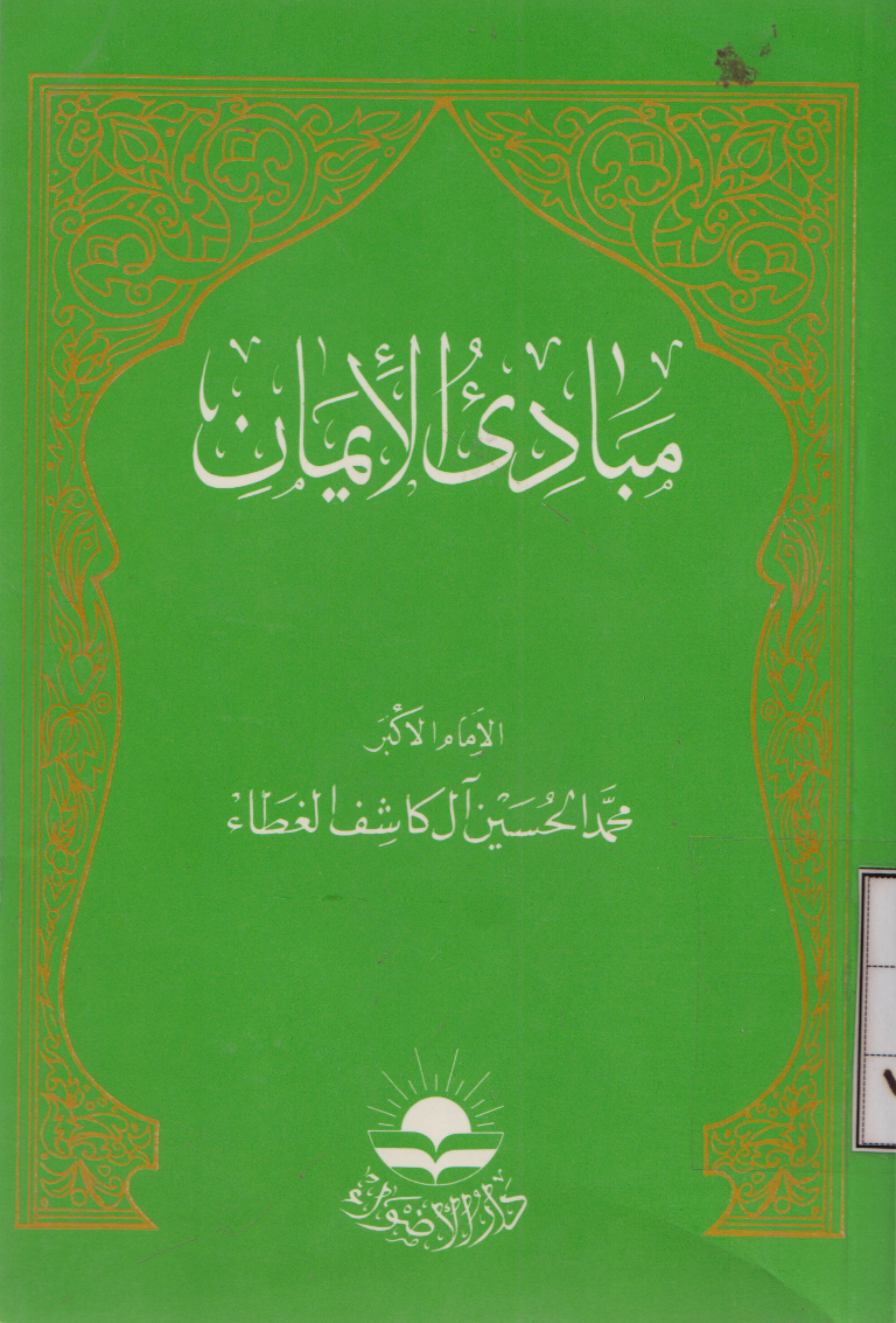


مبادئ الإيمان

الإمام الأكبر
محمد الحسين آل كاشف الغطاء

دار الأضواء



الإمام الأكبر

محمد الحسين آل كاشف الغطاء



الإهداء

إلى روح الفقيد الوالد ، تلك الروح السامية التي إتصفت بالفكر النير والذهن المتوقد والعلم الغزير ، والأدب الرفيع ، والعاطفة المشبوبة وصفاء النفس ، وحب الخير وقوة الإيمان ، والنشاط والحماس للعمل الصالح والشجاعة الفائقة في قول الحق والثورة على الظلم ، أهدي هذا الكتاب الذي هو منه وإليه ، آملاً من الله الأجر والثواب .

عبد الحليم آل كاشف الغطاء

ترجمة المؤلف

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، من الشخصيات المميزة التي تبوَّأت مركزاً عالياً في عالم الفكر والإبداع . ويُعدُّ ، بحق ، من هبات الدهر . وما قدّمهُ للأجيال المؤمنة يُعتبَرُ خيرَ زادٍ لأُولي الألباب .

كانت حياتُه عبارةً عن دروس وعبر ، وتَرَك بصماتٍ مِنْ بَنَاتِ أفكارهِ في سفْر التراث ، هذه البصمات ستبقى شاهدة على ما لَه مِنْ أعْطيات سنيَّةٍ في مجالات الهداية والإرشاد .

اسمه ونسبه :

هو محمد الحسين ، بن علي ، بن محمد رضا ، ابن موسى ، بن جعفر[1] ، بن خضر ، بن يحي ، بن سيف الدين .

---

(١) هو الشيخ جعفر الكبير ، صاحب كتاب كشف الغطاء ، وهو والد الشيخ خضر .

ينتسب الى عـائلة عربيـة يمانيَّـة . هاجـرَ جـدُّهـا الأعـلى ، الشيــخ خضــر بـن يحـي ، الى الـنجـف الأشــرف ، منــذ مئتين وسبعين سنــة تقــريبــاً ، من « جناجة » ، بلدة في جنوب الحلَّة .

أنْجب أربعـة أبنـاء ، منهـم الشيـخ جعفـر وهــو أشهـرهم ، والشيخ خضـر من عشيـرة آل علي ، وهي فـرع من قبيلة آل مـالـك ، التي لهـا عــدة فـروع في الفرات الأوسط .

نشأته :

وُلِــد فـي النـجـف الأشــرف عــام ١٢٩٤ هـ . (١٨٧٧م .) . وهنـاك نشأ وتـرعـرع ، وتلقَّى علومـه اللســانيـة من نحـو ، ومنـطق ، وبـلاغـة . ولم يقصـر إهتمامه على الفقه وأصولـه ، بل تعـداه الى جملة من فنــون المـعــرفــة ؛ كــالحـكمــة وعـلم الكــلام ، والـرياضيـات . وقد تبحَّـر في فنـون الأدب من نثـر ، وشعـر ، وخطابـة . بعد أن حَضَـر على أكثر مشـاهيـر عصـره من الاعـلام في الفقــه ، والفلسفـة ، واللغــة والأدب .

شخصيته ومواقفه :

إمتاز بشخصية متكاملة الأبعاد والسجايا ، فمنْ حافظةٍ قوية ، وحضور بديهة نيرّة ، إلى حدّةٍ في الذهن ، وصفاء في النفس ؛ فلا حِقدَ لَديْهِ ولا ضغينة ، بل عفو عن الإساءة عند المقدرة ، وأخذ بالرأي السديد عند الحاجة .

كان يرى أنّ النجاح في الحياة ، وبلوغَ الهدف المنشود ، حاصلٌ لا محالة ، لمن سلك السبيل السويَّ ، ولمن اهتَدى إلى الصراط المستقيم .

وإلى جانب ذلك كان للمغفور له ، مواقفُ نضالية ، تبلورت في جهاده ضد المستعمرين ، وتصديه للفتنِ المذهبية التي كانت تتأجج هنا وهناك[1] ، وتبنِّيهِ قَولاً ، للثورات الوطنية الحقّة .[2] أمّا مواقفه النضالية في الدفاع عن فلسطين فلا حدود لها . هذا بالإضافة الى أسفار ، ورحلات ، وأدوارٍ بارزة في المؤتمرات والندوات التي كانت تتوخّى تحقيق سعادة الإنسان في الداريْنِ : الدنيا والآخرة .

---

(١) انبرى لإخماد الفتنة التي افتعلها عبد الرزاق الحصان بإصداره كتاب « العروبة في الميزان » الذي طعن فيه العلويين وشيعتهم .

(٢) اشترك في الثورة الوطنية لعام ١٩٣٥ .

وفاته :

انتقل المغفور له ، الى رحمة ربّـه ، فجر الاثنين في ١٨ ذي القعدة عام ١٣٧٣ هـ . (١٩ تموز ١٩٥٤ م .) في كـرند ، ونقـل الى النجف الأشـرف ، ودفن في وادي السلام ، في مقبرة خاصة به .

ميزة أدبه ومؤلفاته :

تأثر بالقرآن الكريم ، ونهج البلاغة ، وآثار البلغاء من الكتاب وقد ظهر ذلك التأثر بوضوح في نثـره لجهة البـلاغـة والبيـان ، ومتـانـة السبـك ، وحسن اللفظ ، ووضوح المعنى .

أمـا شعـره فيحتـل المـرتبـة الأولى من الجُـودة والإبداع ؛ فهو يجمـع بين الجزالـة ، ورقـة الشعـور ، وسمو الخيال ، وعذوبة التعبير . وقد تـرك لنا مؤلفـات عديدة ؛ (حوالي ٦٧ مؤلفاً ورد ذكرها مفصـلاً في جنّة المأوى صفحة ٤٨ ـ ٥١ طبع دار الأضواء سنـة ١٩٨٨) منها ما هو مطبوع ، ومنها ما زال مخطوطاً . .

أ ـ المؤلفات المطبوعة :

١ ـ الدين والإسلام ـ جزءان

٢ ـ أصل الشيعة وأصولها

٣ ـ المراجعات الريحانية ـ جزءان
٤ ـ الآيات البينات
٥ ـ التوضيح في الرد على النصارى ـ جزءان .
٦ ـ الفردوس الأعلى .
٧ ـ مبادىء الإيمان في الدروس الدينية .
٨ ـ جنة المأوى .
٩ ـ نبذة من السياسة الحسينية .
١٠ ـ الميثاق العربي الوطني .
١١ ـ المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون .
١٢ ـ المجاورة بين سفيرين .
١٣ ـ خطبة الاتحاد والإقتصاد في الكوفة .
١٤ ـ الخطبة التاريخية في القدس .
١٥ ـ الخطب الأربع .
١٦ ـ خطبة الباكستان
١٧ ـ حاشية على التبصرة .
١٨ ـ سؤال وجواب .
١٩ ـ وجيزة الأحكام .
٢٠ ـ حاشية على سفينة النجاة .
٢١ ـ زاد المقلدين ـ بالفارسية ـ
٢٢ ـ مناسك الحج ـ بالعربية والفارسية ـ
٢٣ ـ حاشية على العروة الوثقى .

٢٤ ـ تحرير المجلة ـ خمسة مجلدات .
٢٥ ـ الأرض والتربة الحسينية .

ـ ب ـ المؤلفات المخطوطة .

١ ـ الدين والإسلام ـ الجزء الثالث .
٢ ـ حاشية على كتاب الأسفار لملا صدر الدين .
٣ ـ حاشية على العرشية ورسالة الوجود لملا صدر الدين .
٤ ـ شرح العروة الوثقى في الفقه ـ أربعة مجلدات .
٥ ـ حاشية على مكاسب الشيخ مرتضى الأنصاري .
٦ ـ مجموعة الفتاوى .
٧ ـ تنقيح الأصول .
٨ ـ حاشية على الكفاية .
٩ ـ حاشية على القوانين .
١٠ ـ رسالة في الجمع بين الأحكام الظاهرية والواقعية .
١١ ـ مغني الغواني عن الأغاني ـ مختصر كتاب الأغاني .
١٢ ـ ديوان الشعر .
١٣ ـ نهْزة السفر ونزهة السحر ـ رحلته الأولى الى سوريا ومصر .

١٤ ـ حاشية على كتاب الوجيز في تفسير القرآن العزيز .

١٥ ـ مجموعتان من المنتخبات الشعرية .

١٦ ـ ترجمة حياته مفصلة بقلمه بعنوان « عقود حياتي » مفقود .

١٧ ـ تقريب كتاب : فارس هيئة .

١٨ ـ تقريب كتاب : حجة الشهادة .

١٩ ـ العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية ـ في تاريخ عائلة آل كاشف الغطاء .

والمؤلَّف الذي نقدّمه للقراء الكرام ، منْ أعمال شيخنا الجليل وهو كتاب لا غنى للناشئة المؤمنة ، عن التزوّد بما حوى بين دفتيه من الأفكار السامية ، والنصائح السديدة التي لا بدَّ منها ، لتكوين الشخصية الإسلامية المثلى .

والله ولي التوفيق

دار الأضواء

بيروت ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

بسم اللهِ الرحمن الرحيم

مقدمة نجل المؤلف

كان المرحوم الفقيد الوالد حجة الإسلام الإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء طاب ثراه ، قد ألف كتاباً مبسّطاً موجزاً لطلاب المدارس في أصول الدين وفروعه سماه (الدروس الدينية) ونظراً لحاجة الناشئة والملأ لهذا النوع من الكتب رأيت نشره . وإتماماً للفائدة أضفت الى أصل الكتاب مواضيع هامة وواضحة من كتب أخرى للفقيد . وكتبت بقلمي مقدمتين للكتاب أملاً في إفادة القارىء والتمهيد للكتاب وسميتهُ (مبادىء الإيمان) لموافقته لأبحاث الكتاب ومن الله نسأل التوفيق للسداد والصواب .

مدرسة الإمام كاشف الغطاء

النجف الأشرف

٣٠ ربيع الأول ١٣٧٨

١٤ تشرين الأول ١٩٥٨

عبد الحليم آل كاشف الغطاء

دعوة الى الإيمان

يسـود القلق العالم في العصـر الحاضـر لأسبـاب كثيـرة كالضـوضاء وإزدحـام السكـان والحـرب والفقـر والتنافس والنزاع القومي والطبقي وغيـر ذلك . ويسـود القلق المجتمع الشرقي بصورة أشد ، بسبب الإنحلال الخلقي الـذي يسوده بـالإضافـة الى العوامـل الأخـرى المختلفة .

وهذا الإنحلال الخلقي وإن كـانَ من أسبابـه الفقر والجهـل والتأخُّـر ، ولكن السبب الأساسي لـه الشـك الذي نتج عن ضعف الوازع الديني في الشـرق ، ذلك الوازع الذي كان يحفز الناس الى النشاط وعمل الخير ويساعد في تنظيم شؤونهم بدون قوة قاهرة .

بما أنَّ العقل الإنساني يمتاز بسموه وشدة التفكيـر فيه ، وغلبة الفكر على الحس والشهوة والغريزة ، نجد الإنسان المتمدِّن في حاجة شـديدة إلى الإيمـان بفكرة

وعقيدة ، ويتفق جميع علماء النفس والإجتماع على حاجة الإنسان إلى الإيمان بفكرة ، وبدون هذا الإيمان يصبح شخصاً بهيمياً تتغلب فيه الشهوة والغريزة على الفكر والمثل والعليا .

ولا مجال هنا لشرح الأسباب التي تبعث الإنسان الى الإيمان .

ولكن أعتقد أن أهم الأسباب هو أن الإنسان عندما يفكر ويعلم أنه غير خالد في هذه الحياة ، يرى بصورة واعية أو غير واعية من الهوان عليه والإحتقار لنفسه ، أن لا يكون لوجوده معنى وغاية ، ويرى أن من الإحترام لنفسه والتقدير لها أن يجعل وجوده نافعاً للآخرين كالشجرة المثمرة . وعندما يساهم الفرد في المجتمع بالعمل النافع للجميع يؤدي عمله ذلك في نفس الوقت إلى التقدم والعمران وتكوين مجتمع أرقى وأفضل في المستقبل ، وبذلك لا يكون وجوده عبثاً بل لغاية سامية أرادها الله منذ الأزل . ﴿ **أفحسبتم إنما خلقنا كم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ [1] ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[2] ﴿ **وابتغ فيما**

---

(١) المؤمنون سورة ٢٣ . آية ١١٥

(٢) الذاريات سورة ٥١ . آية ٥٦ .

آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾[٣] ﴿والعصر إنّ الإنسان لفي خُسر إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾[٤] ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾[٥] ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾[٦] وفي القرآن الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأخبار أهل بيته نصوص كثيرة تؤكد ضرورة الإيمان أوَّلاً ، والعمل الصالح ثانياً . والإنسان يظل في شقاء وتعاسة مادام أنانياً يفكر في نفسه ، وما دام يرى أنه مركز العالم كما يفكر الأطفال ، ويسعد عندما يخرج من إنطوائه وعزلته ، ويعلم أنه خلق للعالم والوجود وأنه وسيلة وغاية ، وعندما يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

لا ننكر أن الدين قد ضعف في المجتمع الغربي وإن لم يزل ، ولكن قد نشأت فيه آراء وعقائد جديدة ، كونت مجتمعاً مترابطاً ، كالنزعة القومية والوطنية والإنسانية والمبدأ الديمقراطي والإشتراكي

---

(٣) القصص سورة ٢٨ . آية ٧٧ .

(٤) العصر سورة ١٠٣ . الآيات الثلاث .

(٥) الفتح سورة٤٨ . آية٤ .

(٦) الحجرات سورة٤٩ . آية ٧.

والفلسفات الحديثة المختلفة ، ولا شك أن أقوى الروابط في العصر الحاضر هي الرابطة القومية التي بلغت مع الأسف حد التطرف أحياناً .

والشعوب الشرقية لا تزال تجتاز مرحلة إنتقال وتبلور ، لذلك نجدها متبلبلة الرأي يسودها الكفر والقلق والإنحلال ، تركت محاسن القديم ومحاسن الحديث وأخذت مساوىء الطريقين .

والعلاج الناجع لشعوب الشرق هو الإحتفاظ بميزاتها الحسنة والإيمان بعقائدها السليمة بدون جمود وتزمّت ، مع إقتباس علوم الغرب وصناعته وأتباعه في عاداته وأخلاقه الحسنة ؛ كالتنظيم والعمل والمثابرة ، وترك عاداته السيئة وتجنب مشاكله الإجتماعية ، فإنَّ العاقل من أتعظ بغيره وإستفاد من تجارب غيره . وإذا تأملنا في الآراء والعقائد الغربية نجد الإسلام الصحيح جامعاً لها قاطبة . فأنصح من حاد عن الإسلام أن يعود إليه ومن آمن به أن يشتد إيمانه ويقوى . ويجب على المسلمين أن يعلموا إن تأخرهم لا يعود الى الإسلام ، بل لأسباب تاريخية ، ولإختلافهم وضعف إيمانهم ، والدليل على ذلك أن الإسلام لم يعقهم في السابق عن التمدن والحضارة .

عبد الحليم آل كاشف الغطاء

الدين والحقيقة

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾[1]

(قرآن كريم)

منذ آلاف السنين بهر الإنسانَ هذا الوجود بتنوعه وغموضه وجماله ونظامه . ونظراً لما إمتاز به الإنسان من مزايا جسمية ومواهب عقلية ، بدأ تارة يحاول أن يتفهَّم أسرار الظواهر الطبيعية والأشياء ومنافعها، كل ظاهرة وكل شيء منفصلاً عن غيره ، وتارة يحاول أنْ يعطي تفسيرات عامة تربط بين الأشياء والظواهر المختلفة . وبعد مرور آلاف من السنين في البحث تمكن في الوقت الحاضر أنْ يتعرف على بعض الحقائق الجزئية التي إستعان بها لمنفعته ، ولكن لم يستطع التعمق والوصول إلى الأسرار البعيدة إلّا قليلاً : والأسئلة العامة التي عرضها فلاسفة اليونان

---

(١) فصلت سورة٤١ . آية٥٣ .

الأقدمون لا تزال محل البحث والجدل ، وأهم تلك الأسئلة العريضة ، كان عن سر الوجود بأجمعه ، أرضه وسمائه، وعن الجوهر الذي إنبثق منه الوجود ، وعمن نظم هذا الكون وأعطاه الجمال ، وعن سرّ الحياة ، وعن نهاية الكون والحياة وعن سرّ الزمان والمكان والمادة .

يمكن أن نحصر تراث الإنسان الفكري ، وجميع أنواع المعارف التي أنتجتها حضارة الإنسان في أربعة أقسام : الدين والفلسفة والعلم والفن .

بين العلم والفلسفة

العالِم يدرس جزءاً محدوداً من الكون ، يأخذ ظاهرة معينة أو شيئاً معيناً ، ويبحث عن العوامل التي تؤثر فيها ، ويوضح لنا كيفية حدوث الأشياء والظواهر ، ويقتصر على الأسباب ، ولا يعني بالعلل البعيدة . ولا يخبرنا عن الأشياء بذاتها بل يرمز عنها . ولا يطلب من العالم أن يبيِّن الروابط بين أجزاء الكون ، فهو يجزىء الموجود ويفصل بعضها عن البعض الآخر ليسهل عليه درسها وملاحظتها . ويعتمد العالم في الدرجة الأولى للوصول الى المعرفة ، على الحواس والآلات والمقاييس مع إعمال الفكر

للاستقراء والمقارنة ، وينتقل من الجزئيات إلى الكليات ، ويصنف المعلومات التي يحصل عليها بالطريقة المذكورة .

هناك حاجة للربط بين جميع الحقائق التي توصَّل إليها العلماء ، هناك ضرورة للنظر إلى جميع الأشياء الملاحظة ككل واحد .

فمن المعلوم أنَّ الأجزاء في كثير من الأحوال عندما تجتمع تعطي معنى يختلف عن معاني الأجزاء منفردة ؛ مثلاً السيارة تختلف في معناها عن معنى الأجزاء المكوِّنة لها . وعندما يتحد عنصر الكلور مع عنصر الصوديوم يركبان ملح الطعام الذي يختلف في خواصه وصفاته عن عنصريه ، فعلى الفيلسوف أن يربط إكتشافات العالم مع إلهام الفنان ، وإنفعالات المحب ، وحماسة المصلح الإجتماعي ، والوازع الأخلاقي للرجل العادي ، ليعطي لهذه الأجزاء معنى جديداً يفسر فيه الوجود والحياة . العالم يعتمد في الدرجة الأولى على الحواس ، والفيلسوف يعتمد على التفكير مع إعطاء الحرية التامة للفكر في فرضياته ونظرياته .

منذ أيام اليونان ، إنقسم الفلاسفة الى طائفتين مع

إختلاف في مذاهب كل طائفة : فطائفـة ذهبت الى أن المـادة هي أصل الكـون ، والحياة والعقـل نـاتـج عن تفاعلات المادة وتغيراتها وقالوا : بما أن المادة نستطيع أن ندركها بحـواسنا فـإليها تعـود حقيقة الـوجود . أمـا الـطائفة الثـانية فـلا ترضى بهـذا التعليل النـاقص غيـر الدقيق ، وتعتبر الفلاسفة الماديين كمن يفسر الماء بعد الجهـد بالمـاء . وتقـول بمـا أن وجـود كـل مـا نتـأمله يستلزم العقـل ، فـالعقـل هو أصـل المحسـوسـات ، والمادة لا تستطيع أن تولد العقل ما لم تكن من جوهـر العقل وحقيقته ، لأن فـاقد الشيء لا يعطيـه . وكيف جاز للماديين أن يجعلوا الطبيعة قادرة على خلق العقل وجـردوهـا منـه مـلايين مـلايين السنين قبـل ظهـور الإنسـان . فحقيقـة الأشيـاء هي عقليـة أو روحيـة . والظواهر المادية ليست إلا نتيجة للطريقة التي تتخـذها الحقيقـة الـروحيـة للظهـور . أو كمـا يقـول العـالم الفيـزيـائي أدينكتون : (إن الـظواهـر المـاديـة نتيجـة للتجـريد أو العـزل الذي يلجأ إليه عقلنـا في التعـرف على الـروحيـة التي تتضمن تلك الـظواهـر) أي أن الأشيـاء واحـدة في طبيعتهـا ، ولكن عقلنـا يـظهـرهـا بمـظاهر مختلفـة تبعاً للطريقـة التي نحسن بهـا السمـع والبصر ، والشم والذوق واللمس وغيـرها . أو تختلف

الأشيـاء في الصفـات لا الـذات ، كـالشكـل واللون والكثافة وغيرها من الصفات . أما المذهب الثالث وهو مذهب الشك الذي ينكر الوصول الى الحقيقة فمؤيدوه قليل ، لأن الإنسان يكره الشك الذي يحمله على القلق ويشله ولا يوحي النشاط والحماس .

ولا أريد في هذا المقال أنْ أُلَخص تاريخ الفلسفة ولكن غـرضي أن أختصر الأدلَّـة إلى وجـود الله وصحـة الفلسفة المثاليـة الروحـانية على الإجمـال ، ثم أشرح نظرية وحدة الوجود المشهورة متوخياً البساطة والوضوح في التعبيـر ، لأني رأيتهـا حسب فكـري ومعلومـاتي ، أدقَّ نظرية عن حقيقـة الوجـود لموافقتهـا للعلم والدين والفلسفـة الحـديثـة ، والنـظريـات العلميـة الحـديثـة كـالنـظريـة النسبيـة « لأينشتـين » ونـظريـة الـكم « لبلانك » .

إن الـدين لا ينكـر على العلم أهميَّـة حقـائقـه الجـزئية ، ولا يمنـع الفلاسفـة عن الجدل والمنـاظـرة والتفكير ، ولكنه يرى أنّ الوصول للحقيقة النهـائية عن طريق الحس والعقل وحدهما . يؤدي إلى الإلتبـاس . بالإضافـة الى هذين الـطريقين ينبغي أن نستعين بطرق أخـرى ، ذات صلة بأعمـاق النفس الإنسـانيـة وبـاطن

الفـرد ، مثل التنبؤ والنـظر الغيبي ، والإلهام ، والـوحي الإلهي ، والتجليّ ، والبداهة ، والقنـاعة الـذاتية . إنَّ الدين يؤمن إيماناً تاماً عن هذا الطريق، بأن الله هو أصل الـوجود ، وسـواء جاءت أبحـاث العلمـاء والفـلاسفـة مؤيـدة لـه أم لا ؟ فهـو لا يكتـرث لهـا ، لأن آراءهم عـرضـة للتغيـر والتبـدّل . يقـول الـدين : إن العـالَم بمـوجوداتـه المتنوعـة من بحار وأنهـار وأشجار وجبـال وحيوانات ومواد مختلفة ، توحي إلينا بالبداهة ، ولأول وهلة إنها ليست إلا صوراً لحقيقة واحدة هي الله (وفي كل شيء له آيـة تدل على أنـه الـواحـد) . كما أنـك تتنبأ عن أخلاق شخص عندما تجتمـع به لأول مـرة من تفـرسك في بـريق عينيه ومـلامح وجهـه ، وتصيب في أكثـر الأحيان . كـذلك من نـظرة عاجلة لهـذا الوجـود نعرف ماهيته وحقيقته . أمـا إذا أردنا أن نـوسوس فـإننا نفقد الصواب .

عنـدمـا يتـأمـل الفـرد في نفسـه ، في تفكيـره وإنفعالاته وآماله وآلامه ، وحيويته وغرائـزه يجد أنـه لا يعبِّـر عن إرادته ، بـل عن الإرادة العامـة للوجـود التي تسيِّره كما شاءت . هنالك نواح لا نستطيع أن نـدركها عن طريق العلم مثل معرفتنا بنفـوسنا ، ومعـرفة العـدل والجمال ، ومعرفة الفكاهـة والمزاح، ومعـرفة أخـلاق

شخص آخر ، وإنما نعرفها باللقانة (Intuition) كذلك نعرف الحقيقة النهائية عن هذا الطريق أي الحدس والإلهام .

والفن ذو صلة بالحقيقة الكلية ، فالفنان لا يصور الوجود كما هو ويعبر عنه فحسب ، بل يظهره بشكله الأكمل ويحاول أن يسمو بالحياة ، وينظر الى الأفق البعيد ويتطلع الى المستقبل القادم ، ويسعى إلى تحسين الحياة ويوجهها الى التقدم والكمال . ويعرف أفلاطون الفن بأنه : الكلي ممثلاً في الجزئي . ونحن نتذوق الفن كالموسيقى والغناء والتصوير والشعر والأدب عن طريق اللقانة أيضاً .

في القرن التاسع عشر إنخدع الناس وأصابهم الغرور ، للتقدم والتوسع الذي حصل في مختلف العلوم كالكيمياء والفيزياء ، والأحياء والفلك ، وطبقات الأرض ونشطت لذلك الفلسفة المادية ، وآمن بعض الفلاسفة والعلماء ، مع الأسف ، مثل أرنست هيكل وبخنر وهكسلي وسبنسر ، بالتطور الذي حدث في الأحياء والجمادات كأحسن تفسير للعالم ، مع أنَّ التطور لا يخرج عن مجال العلم ، ويبيِّن لنا فقط الأدوار التي مرت على الأرض والأحياء . وخلاصة

نظرية التطور العضوي أنَّ أصل الأحياء كائنات حية بسيطة تطورت خلال ملاين السنين إلى أحياء راقية معقَّدة . وكانت بعض الأنواع تنقرض ، وتنشأ أنواع جديدة تختلف عن أصولها لأسباب غير معلومة تماماً في الوقت الحاضر ، وتبقى بعض الأنواع محافظة على وجودها ولكن التطوّر نفسه يحتاج الى تفسير ، فما سره وما غايته وما نهايته ولا يوضح التطور أصلَ الوجود ، فما هو الأصل الذي نشأت منه الأشياء ؟ هل هو النور أم الهواء أم الماء أم الهيدروجين أم غيرها ؟ .

والمتعمق في الدين يعرف أنَّ نظرية التطور لا تعارض الدين بل تؤيده . إن نظرية التطور تقول : إنّ كلَّ شيء في الوجود ، من أشياء وأحياء معرَّضة دائماً للتغيير ، والدين يقول : ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[1] الدين يقول : إن الثبات والخلود لله تعالى شأنه ، والأشياء كلها متغيرة أو فانية . أما أن يكون لها وجود موقَّت في الحاضر ، أو معدومة في الحقيقة ، والوجود لله وحده لا شريك له ، وبقاؤها على حالها أو تغيرها أو فناؤها ورجوعها اليه منوط بإرادته . فالله قد جعل التطور في الطبيعة ،

---

(١) الرحمن سورة٥٥ . آية٢٦ و ٢٧ .

ولو أراد أن يوقف التطور لقدر وفعل ، والطبيعة من الله وتطورها منه .

نشأة الدين وإثبات الصانع ووجود الله

فالدين لم ينشأ منذ القدم بسبب الخوف والرجاء ، الخوف من شرور الطبيعة والرجاء من الله في دفعها ، كما ظن بعض الكتاب والمؤرخين ، ولم ينشأ لخدع الجماهير وصرفها عن واقعها الإجتماعي المر ، بل نشأ كالفلسفة والعلم للوصول الى الحقيقة ، والبحث عنها ، وسار مع العلم والفلسفة دوماً . وما نجد عند أهل الدين أحياناً من أعمال وطقوس وآراء ، تتعارض مع الحقيقة بصورة أكيدة ، فهي طارئة على الدين وليست من جوهره .

وأهم الأدلة على إثبات الصانع ووجود الله ، وأن الطبيعة المحسوسة ليست أصل الوجود ، ما يأتي :

(١) برهان الخلق : وخلاصته أنّ كل موجود ، وكل شيء من مادة وطاقة ، وأحياء ، يتوقف وجوده على غيره من الموجودات ، وهذا يتوقف على غيره دون أن نرى ضرورة وجوده لذاته . وهذه الظاهرة في الأشياء أدت إلى التركيب والتعقيد الشديد في الوجود وإرتباط الموجودات مع بعضها . فلا بد إذن لهذه الموجودات من سبب لوجودها ، لا يتوقف وجوده على

وجـود آخـر ، ويعبَّـــر عنـه في الفلْسفـــة وعلم الكــلام بواجب الوجود أو الله . أما الأشياء فممكنة الوجود .

(٢) مع ما نلاحظ في الوجود من تنوّع وتعقيـد ، وتغير مستمر ، وتحليـل يعقبه تـركيب ، وتركيب يعقبـه تحليـل ، نلاحظ أيضـاً أن النظام يسـود العالم والتغيـر الـذي يحدث في الـطبيعـة في الغـالب تغيُّـر بـطيء ، والتغيُّر السريع نادر وأقـل حدوثـاً . فالله يحفظ الـوجود غالباً ويغيِّره تارة ويفنيه تارة أخرى .

(٣) الجمـال يسـود العـالم ونعيـه ونحس بـــه ، كـالنـور والألـوان الجميلة والأصـوات الجميلة وجمـال الطبيعة وجمال الأحياء . والجمال مرتبط بالنظام .

(٤) خـــوارق العقـل الإنســاني المتجلِّيـة ، في إكتناه الفكر لأسرار الكون ، وفي الرؤيا الصادقة المنبئة عن حـوادث الغيب ، وفي التنويم المغنـاطيسي وقراءة الأفكار ومناجاة الأرواح .

(٥) خـــوارق الـطبيعــة التي قـام بهــا الأنبيــاء والأوليـاء ، ويقـوم بهـــا بعض المتصـوفـة في الـوقت الحاضر ، كالمشي على النار ، والمشي على المـاء ، وشفاء الأمراض المستعصية وغيرها .

نظرية وحدة الوجود

أول من قال بهذه النظرية وشرحها ، بعض كهنة الديانة البرهمية الهندية ، وهم أصحاب فلسفة « الويدانت » . وقال بها أصحاب الفلسفة الأفلاطونية الحديثة من فلاسفة اليونان . وأخذها الفلاسفة المسلمون من مصدرها الهندي واليوناني ، وتوسعوا في شرحها أو توصلوا اليها بصورة مستقلة عن فلاسفة الهند واليونان وهو الأرجح . ودعا إليها عدد كبير من الشيعة والسنة ، وخلاصتها : أن الموجودات ، وجميع الأشياء والظواهر : كالمادة ، والطاقة ، والنبات ، والحيوان ، والروح ، والعقل متشابهة في حقيقتها وإن إختلفت في الظاهر ، والواقع المحسوس (الحالة الراهنة) ، فهي متماثلة في الحقيقة والجوهر . ولما كانت حقيقتها واحدة ، ففي عالم الإمكان كل شيء يمكن أن يتحول الى نظيره بالصيرورة والتغير ؛ فالبذرة في الواقع والظاهر غير الشجرة التي تنشأ منها ، ولكنها في عالم الإمكان شجرة . فعالم الإمكان أوسعُ من عالم الواقع بكثير ، ويشمل الماضي والحاضر والمستقبل . أما عالم الواقع فيشمل الحاضر والماضي . وأقدِّم مثالاً علمياً لتوضيح وتأييد نظرية وحدة الوجود : في السابق كان علماء الكيمياء يُعرِّفون

العنصـر بأنـه المـادة التي لا يمكن تحليلهـا الى أبسط منهـا . ولكن علماء الكيميـاء الآن يعلمـون أن المـادة تتألف من ٩٦ عنصراً ، وبواسطة إطـلاق أنواع خـاصة من الإشعاع على أي عنصر ، يمكن تحويله إلى عنصر آخر . مثلاً أمكن تحويل النتـروجين إلى الأوكسجين ، والبريليوم إلى كربون ، والليثيوم إلى هليوم ، والبلاتين الى ذهب وغير ذلك . والعناصر المشعَّة ، كاليـورانيوم والراديوم ، بمـرور الزمن تتحلَّل إلى عنـاصر اخـرى ، ويعرف العنصر الآن بأنه المـادة التي لا يمكن تحليلهـا الى مـادتين أو أكثر بـالطرق الاعتيـادية . وسـابقـاً ظنّ العلمـاء أنَّ المادة لا تفنى ولا تستحـدث ، وأنَّ المـادة منفصلة عن الـطاقة . وأثبت العـالم أينشتين أنّ المـادة تكافىء الطاقة وأنهما حقيقـة واحدة وتتحـول إحداهمـا الى الاخرى(*) .

ونجـد ثلاثـة تفسيرات لهـذه النظريـة من نـاحيـة علاقتها بالله :

(*) وقد ذكر الفقيد الوالد قدس سره برهانين عقليين لنظريـة وحدة الوجود في الجواب على قول الحكمـاء (الواحـد لا يصدر عنـه إلا الواحد) ونصهما :

١ ـ ان حضرة الحق سبحانه لا بد أن يكـون أحديَّ الـذات ، أحديَّ الصفات فإنه إن لم يكن كذلك يلزم التركيب ، والتركيب ملازم

(١) وحدة الوجود وتعدد الموجود :

من الصعب على الإنسان أن يدرك صلة الله بالموجودات بوضوح عن طريق الحواس والعقل. ولذلك لا بد من الإجمال وترك التفاصيل. هذا الرأي للنظرية يرى أن الموجودات على اختلافها هي حقائق موجودة لا ريب فيها، ولكنها حقائق جزئية غير مطلقة أي أنها حقائق متغيرة غير ثابتة على حالة واحدة، وشكل معين وصفات معينة وإن كانت لا تفنى فناء تاماً والأشياء في حقيقتها لا تخرج عن حقيقة الله لأن الله تعالى حقيقة الوجود. والله يختلف عن الأشياء إختلافاً عظيماً في صفاته، كما تختلف الموجودات فيما بينها اختلافاً عظيماً. فالإختلاف كبير بين الجماد والنبات، وبين

للإمكان؛ والامكان يطارد الوجوب ولا يجتمع معه، فلو كانت فيه حيثيتان متباينتان لكان مركباً. ولو كان مركباً لكان ممكناً. ولو كان ممكناً لم يكن واجباً وهذا خلف.

٢ ـ إن بين كل علة ومعلول لا بد أن تكون سنخية ومناسبه بمعنى أن تكن بينهما جهة وحيثية وبتلك الجهة والحيثية يصدر هذا المعلول من تلك العلة، فإن لم يكن بينهما السنخية والاقتضاء الخاص يلزم أن يؤثر كل شيء في كل شيء، ومعروف أنه لولا السنخية بين العلة والمعلول لزم تأثير كل شيء في كل شيء.

النبـات والحيوان ، وبين المـادّة والطاقـة . وإن كـانت حقيقتهـا واحدة والعقـل أقـرب الأشيـاء الى الله ، والله غير منفصل عن الوجود ، فـالموجـودات نشأت من الله والله لم ينفـك عنهـا ولم ينعـزل عنهـا ، فهـو خـالقهـا وحافظها ومنظمها ومحركهـا ومغيِّرهـا ، والله عالم بمـا يحـدث في الـوجـود ، وقـادر عليــه ، فيخلق الأشيـاء والحوادث بالـطرق الطبيعية الإعتيادية، وبـطرق خارقـة للطبيعـة والعـادة ، وهي المعجـزات . وأحسن تعبيـر موجز عن هذا التفسير لوحدة الوجود قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السـلام : (توحيـده تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة). وقد قال بنظرية وحدة الوجود وتعدد الموجود كهنة الديانة الهندية الـواضعـون الأول لهـذه النـظريـة والأئمـة الأثنـا عشـر العلويــون عليهم السـلام ، وعــدد كبيــر من علمــاء الإمـامية ، منهم : نصيـر الدين الـطوسي ، والعـلامـة الحلي ، والسيــد حيــدر الآملي ، والـشيــخ ميـثـم البحراني ، والسيد محمد باقر الدامـاد ، وصدر الـدين الشيرازي ، ومحسن الفيض وعبد الـرزاق اللاهيجي . واستصـوبهـا المـرحـوم الـوالـد الإمـام الشيـخ محمـد الحسين آل كاشف الغطاء ، وشـرحها شـرحاً وافيـاً في كتـاب الدين والإسـلام ، وكتـاب الفـردوس الأعلى ،

واعتبرها متَّفقة والشرع الحنيف ومؤيِّدة له .

وقد عبّر أحد كهنة فلسفة « الويدانت » الهنْدية عن هذه النظرية بما يلي :

هـذا الكون كله ليس إلا ظهـوراً للوجـود الحقيقي الأساسي ، وان الشمس والقِمر وجميـع جهات العـالم وجميع العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لـذلك الـوجود المحيط المـطلق . إنَّ الحيـاة وجميـع كيفياتها وصفاتها وحركاتها وأعمالها أشكال لتلك القـوة الوحيدة الأصلية .

هـذه القوة هي التي أشعلت الشمس ، فهي تتقـد نـاراً كحـزمــة الحـطب وتهبنا الحـرارة والنـور ، وأن السحاب لا يمطر بل إنما هي تلك العلّة الأساسية التي تمطر بواسطة السحاب . تتقارب الموجـودات وتتكاثـر ولكنها العلة الأولى التي لا تزال تتكاثر بواسطتها ، وأن الجبال والبحار والأنهار والأشجار والنباتات وجـواهرهـا التي تحمـل حياتهـا ، كل ذلـك تفجَّر من ذلـك الروح المحيط الـذي يستقر في سـائـر الأشيـاء وفي قلوبنـا . تفقـه هذا يـا ولدي العـزيـز واقـطع قيـود الجهـل التي تقيدك[1] .

---

(١) عن مقالة ويدانت في مجلة ثقافة الهند عدد يونيو ١٩٥١ .

وفي القرآن والسنة إشارات كثيرة لهـذه النظريـة . وحسب هـذا الـرأي ، تُعتبـر الأشيـاء مـوجـودات حقيقية[٢]، وحقيقة الله وحقيقتهـا واحـدة وإن إختلفت في الشدة ، والضعف ، والصفات ، والنوع أو الكم ، والكيف ، وإن جعلناها مختلفة عن حقيقة الله إختـلافا تاماً وقعنا في الشرك وتعـدد القِدم . والمـوجودات مـع عدم بقائهـا وتغيرهـا لها حظ من الـوجود والحقيقـة في الحـال ، لأنها تحـافظ على بقـائهـا مـدة من الـزمن ، ونلاحظها عندمـا تتغير لا تفنى فنـاء تامـاً بل تتغيـر من حـالة الى أخـرى . ويعتبر هـذا التفسير الله أوسـع من

---

(٢) يقصد بكلمة حقيقي أو الحقيقة كل ما هو مـوجود في الخـارج مستقلاً عن حواس الانسان وفكره أي ضـد كل مـا هو نفسي أو خيالي ، وتستعمل للصدق ضد الكذب أي لما حدث أو يحدث صـدقاً . أمـا الحقيقة المـطلقة فلهـا معنى أدق فهي المخصصة بما يلي :

١ ـ لا يتوقف وجودها على وجود آخر ، أي قائمة بذاتها .

٢ ـ لا يتغيـر إدراكنا لهـا بتغير الـظروف والأحوال والعـلاقـات ، أيْ يكون لها صفة واحدة وكيفية واحدة .

٣ ـ أن تكـون لها كميـة ثـابتـة فـلا يتغيـر مقـدارهـا حسب الـظروف والأحوال .

٤ ـ أن تكون خالدة أبدية لا تفنى ولا تتغير .

والأشيـاء التي لا تتوافـر فيها هذه الأمـور فهي ليست حقـائق مـطلقـة بـل حقيقـة جزئية .

الموجودات وأوسع من العالم كله .

(٢) وحدة الوجود ووحدة الموجود :

الصلة قوية بين الرأي الأول والثاني ، ولا يوجد تعارض واضح بينهما ، والرأي الأول أقرب الى الشرع والعلم . فهو يقول إن الموجودات ، وإنْ نشأت من الله ، فهي مخلوقات قاصرة تختلف عنه كثيراً ، ومسيَّرة بإرادة الله . والرأي الثاني يقول بما أن الله لا يحده زمان ولا مكان فلا وجود لغير الله ، وهو يظهر في كل مكان وكل زمان بمظاهر مختلفة . فالوجود والموجود هو الله تعالى ، فكل شيء من الموجودات ليس جزء من الله بل الله بعينه ، وإنما الإختلاف الذي يظهر لنا بين الموجودات إمّا إختلاف في المظهر الذي يظهر فيه الله ، وإمّا ناشيء عن عقلنا وحواسنا التي تسبب هذا الإختلاف . والموجودات في الحقيقة غير قاصرة ، وصفات الله كامنة فيها ، ولذلك نشأ منها العقل والروح . وبإمكان الإنسان بالإيمان والتوجه الى الله ، أنْ يقترب من الله ، وأن يقوم ببعض الكرامات والخوارق .

الرأي الأول يعتبر الموجود مؤلَّفاً من ذات وصفات . والذات الذي فيه جزء من الله ، والصفات

وهبها الله ، وللشيء وجود في الحال والوقت الحاضر .

أما الرأي الثاني فيقول : إن الموجود مجرد صفات لا غير أظهرها الله ، وليس الموجود جزءاً من الله وليس له وجود في الوقت الحاضر ، وأن المقصود من قوله تعالى : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾[1] ، فانٍ في الحال ، لأن المشتق حقيقة في الحال ، مجاز في الإستقبال . والمقصود بكلمة (باطل) في بيت الشاعر لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

هو العدم في الحال أيضاً ، لا الإستقبال .

ويشبه أصحاب الرأي الثاني الوجود بالبحر ، والموجودات بأمواج البحر . وأصحاب الرأي الأول يشبهون الموجودات بأجزاء من البحر قد تغيَّرت عن أصلها .

وقد عبَّر المرحوم الوالد عن الرأي الثاني ، وهو وحدة الوجود والموجود بما يلي : الوجود واحد والموجود واحد له ظهورات وتطورات ، يتراءى أنها

---

(١) الرحمن سورة٥٥ . آية٢٦ .

كثيرات ، وليس إلا الذات ومظاهر الأسماء والصفات وشؤون الجمال والجلال والقهر واللطف .

وقد عبّر عن هذا الرأي المتصوف الكبير محي الدين العربي بتغيير كلمة في البيت المشهور :

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

فقال تدل على أنه عينه وتوصل الى ما هو أصرح فقال :

سبحان من حجب ناسوته
نور سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه بارزاً
بصورة الآكل والشارب

وعبَّر عن ذلك الشاعر الصوفي الشهير أبن الفارض :

هو الواحد الفرد الكثير بنفسه
وليس سواه إن نظرت بدقة
بدا ظاهراً للكل في الكل بيننا
نشاهده بالعين في كل ذرة

وقال أبو مدين التلمساني :

الله قــلْ وذَرِ ومــا حــوى

إن كـنـت مــرتــاداً بـلوغ كـمــال

فـمالكــل دون الله (إن حققتــه)

عــدم عــلى التـفـصيـل والإجمــال

واعــلـم بــأنــك والــعــوالم كــلهــا

لــولاه في محـو وفي إضمحــلال

مــن لا وجــود لــذاتــه مــن ذاتــه

فــوجــوده لــولاه عــيــن مــحــال

والعــارفــون فنــوا بـه لم يشهــدوا

شيئــاً ســوى المتكبــر المتعــال

ورأوا سواه (على الحقيقة) هالكاً

في الحـال والمـاضي والإستقبـال

وقـال بهـذا الـرأي مشـاهيـر متصـوفـة الإسـلام ، كالجنيد والشبلي ومعروف الكرخي والحلاج والكيلاني ومحي الدين العربي. ويقترب من هذا الرأي أصحاب الفلسفـة الافـلاطـونيـة الحـديثـة ، وفلسفــة سبينـوزا الالماني ، وبرغسون الفرنسي ، وبـركلي الانكليزي ، الـذي يقـول : إن أنغـام الكـون وكـل مـا يؤثث هــذه الأرض ، وبالجملة فإن كل هذه الأجسام ، التي تكوِّن الإطار العظيم للدنيا ، ليس لها مادة إلّا في عقلنا . . . وطـالما أنـه لا يمكنني إدراكهـا بنفسي ، ولا تـوجـد في

عقلي ، فإنها إمَّا لا توجد إطلاقاً أَوْ أنها توجد في عقل روحي أبدي .

وآراء أينشتين قريبة لهذا الرأي ، وسنلخصها على حدة في هذا المقال . وأقول : إن الجمع بين الرأيْين والتوفيق بينهما جائز . حسب الرأي الأول يمكن أنْ يكمن الكل في كل جزء فيتغير بصور مختلفة . وحسب الرأي الثاني الكل يظهر بصور مختلفة متعاقبة غير مقيدة بحدود الزمان والمكان . وينبغي أن لا يتبادر لذهن القارىء الحلول من هذه الآراء ، فإنَّ الحلول الذي يخالف الشرع : أن ينحصر وجود الله في شيء معين ، أو في شخص معين كالمسيح مثلاً ، أو أحد الأئمة . أما الحلول بمعنى أن الله موجود في كل مكان فهو من صفات الكمال لله ويلزم الإعتقاد به .

(٣) الموجود هو الوجود الواجب :

هذا الرأي يعتبر الموجودات هي الوجود الواجب . والعوالم المحسوسة والمعقولة بأجمها تطوراته وتشكلاته . ووجود الله يتمثل في هذه الموجودات . وهذا الرأي وإن كان يقول بوحدة الوجود لكن لا يختلف عن آراء الماديين ، فهو كفر بالله وضلال ، لأنه لا يجعل لله وجوداً مستقلاً قائماً بذاته

مهيمناً على الموجودات ومنظِّماً لها . كما أنه لا يفسر الوجود . فالموجودات إذا كانت حقيقة كاملة ينبغي أنْ لا يعتريها التغيَّر ، وهذا الرأي لا يستطيع أن يفسر سرَّ التغير المستمر في الوجود ، ذلك التغير ، الذي لا يتوقف . وإذا كانت الموجودات حقيقة كاملة فمعنى ذلك ؛ إن لم يكن الوجود ثابتاً غير متغير فلا بد أن يأتي وقت يتوقف فيه التغير . والعلم لا يؤيد ذلك .

موجز آراء أينشتين عن الوجود .

تقسم آراء أينشتين عن الوجود إلى ثلاثة أقسام :

(١) النسبية الخاصة . (٢) النسبية العامة . (٣) المجال الموحد . وسأشرح هذه الآراء بإيجاز لأوضح إتفاق هذه الآراء مع الفلسفة الإسلامية .

(١) **النسبية الخاصة** :

إن معنى كلمة نسبي (relative)أنَّ وجود أي شيء ، ونوعه ، يرتبط بغيره ويتوقف وجوده على غيره . أي إن كل شيء غير ثابت على حالة واحدة ومتغير في صفاته . وهذا التغير لا يقتصر على النوع والكيف بل يتعدّى ذلك الى المقدار والكمية ، فكمية كل شيء غير ثابتة بل متغيرة حسب الظروف والأحوال والعلاقات . وهذا عين ما ذكرناه عن فكرة واجب

الوجود في الدين .

في النسبية الخاصة يبين نسبية الحركة والزمان والمكان والكتلة (المادة) ، فبيَّن أنَّ الحركة نسبية ومرتبطة بالظروف لسببين : أوَّلًا ؛ إن الإنسان لا يشعر بالحركة ، فالشخص الذي يجلس في باخرة تسير بسرعة ثابتة في البحر لا يحس بالحركة إذا كان البحر هادئاً ، ويحس بها إذا هاج البحر أو نظر الى الماء . وكل من ركب قطاراً يدرك كيف أنَّ قطاراً متحركاً في الإتجاه المضاد يبدو مسرعاً ، أما إذا كان القطار موازياً للقطار الذي يركبه فإنه يبدو كأنه ساكن لا يتحرك ، والراكب إذا كان قطاره في محل مقفل ، فإنه لا يستطيع أن يعرف حركة قطاره إلّا بعد الخروج من المحل المقفل والنظر إلى أشياء ثابتة في الخارج . ثانياً ؛ عند ما نقيس سرعة الجسم نرجع إلى جسم آخر ساكن يبتعد عنه الجسم المتحرك .

ولكن كيف نستطيع أنْ نضبط سرعة الجسم المتحرك ، إذا علمنا أن السكون نسبي ولا يوجد في الكون جسم ساكن سكوناً مطلقاً ؟ فنعتبر الأرض ساكنة عند بحث الأغراض العادية للعلوم بالنسبة للسيارات والطائرات ، ولكن علماء الفلك يدركون أنّ الأرض

غير ساكنة بل تدور في الفضاء بحركة دورية معقدة ، فإنه بجانب دورانها اليومي حول محورها بسرعة ألف ميل في الساعة ، ودورانها السنوي حول الشمس بسرعة عشرين ميلاً في الثانية . فهي مشغولة بدورانات أقل أهمية . والمجموعة الشمسية تتحرك ضمن مجموعة النجوم المحلية بسرعة ١٣ ميلاً في الثانية . ومجموعة النجوم المحلية ، تتحرك داخل المجرة (درب التبانة) بسرعة مئتي ميل في الثانية . والمجرات تتحرك نحو المجرات الخارجية البعيدة بسرعة مائة ميل في الثانية ، والكل في إتجاهات مختلفة .

ويعتبر الزمان والمكان نوعاً من الإلهام ، ويشبهان المدركات الحسية الأخرى كاللون والصوت والشكل والحجم ، وليسا حقيقة مطلقة لها وجود في الخارج بل وجودهما ذهني ، ولا يمكن إعتبارهما في المعادلات الرياضية الدقيقة كميتين ثابتتين مثل ثبوت سرعة النور، بل كمية متغيرة، والمكان نظام للأشياء فإذا لم يوجد جسم لا يوجد مكان . والزمان نظام للحوادث فإذا لم يوجد حادثة لا يوجد زمان . واوضح أن كل ساعة مهما كان نوعها رملية أو ذات بندول أو ساعة جيب ، إذا كانت متحركة تؤخر كلما زادت سرعة

حـــركتهـا حتى تقف إذا تحــركت بســـرعـــة النـــور . والمسطرة تنكمش ويقل طولها في إتجاه حركتها وهذان المثالان يوضحان نسبية الزمان والمكان .

وكمـــا بين أينشتين أن الـزمن والمكـــان كميتـــان نسبيتـــان ، بـرهن أن كتلة الجسم نسبيـة أيضـاً وتتغيـــر حسب حركته فتزداد كلما إزدادت السرعة . والمقصـود بكتلة الجسم هو غير مادة الجسم . والكتلة هي الصفة التي تقـــاوم الحـركـــة . وكلمـا إزدادت مـــادة الجسم إزدادت كتلته أي مقاومته للحركة . وعندما تزداد سرعة الجسم تزداد مقاومتـه لزيادة السرعة . ومعادلة أينشتين الـدالـة على إزديـــاد الكتلة مـع إزديـــاد الســرعـــة من المعادلات المهمة وهي :

$$ك = \frac{ك}{\sqrt{\frac{١ - ع^{٢}}{ص^{٢}}}}$$

ك = كتلة المتحرك بسرعة ع

كْ = كتلته وهو ساكن أي سرعته صفر .

ص= سرعة الضوء .

وحيث أن كتلة الجسم المتحــرك تـزداد بـــإزديـاد سـرعته ، وأن الحـــركة هي نـوع من الـطاقـة (طـاقـة حركية) فإن مقدار الكتلة الزائدة للجسم المتحرك تنتج من طاقته الزائدة : وبالإختصار فـإن للطاقة كتلة . وقـد

إستـطاع أينشتين إيجاد مقـدار الكتلة المعادلـة لـوحـدة الطاقة وقد عبر عنها بالمعادلة :

$$ك = \frac{الطاقة}{ص^2}$$

الطاقة = ك × ص ٢

وذهب إلى أن الـذرة لا تـتحـلل إلى أجـزائـهـا المعـروفـة فحسب ، وهي البـروتـون والالكتـرون والنـوتـرون والبـوزيبـرون ، بـل تتحلل إلى أبعـد من ذلك .

والوحدات النهائية للكـون ليست المادة ولا الأثيـر الذي كان قد إفترضه المـاديون بـل الحوادث الفضـائية الـزمانيـة . والجسم الذي تـظهـر فيـه المـادة ليس إلا مجموعة صفات ، وحيث أن الصفات يدركها العقـل ، فـإن كل الكـون الموضـوعي المكون من مـادة وطـاقـة وذرات ونجوم لا توجـد إلا نتيجة لشعـورنا وإدراكنـا ، أي أنه عبارة عن صرح من الرموز الإصطلاحيـة تشكله حواس الإنسان . فكما أن الكلمات تـرمز الى الأشيـاء والمعـاني ، فكذلـك إحسـاسـاتنـا رمـوز الى الحقيقـة وليست إدراكاً صحيحاً للحقيقة .

(٢) **النسبية العامة** :

وفي نظرية النسبية العامـة يوضـح أن الزمـان متصل

مع الفضاء فهو البعد الرابع للجسم . بما أنه لا يـوجد جسم ساكن ثابت بصورة مطلقة فلا بد أن يكون الزمان بعداً رابعاً للجسم ، فـإن الزمـان يتضح في الحـركة ، وهي علاقة رياضية بين المسافة والزمن . والزمان يشبه المكان بأنه متصل يمكن تقسيمه الى ما لا نهاية له من الأقسام . فعندما نريـد أن نصف أي حادث طبيعي لـه صلة بالحركة لا يكفي أن نحدد الموضع في الفضاء ، بل ينبغي أن نذكـر كيف يتغير المـوضع بتغيـر الزمن . ففي حالة طيران طائرة من بغداد الى القاهرة فإنه يمكن بيان هذه الحالة أو هذا الحادث بأبعاد أربعة ، فإن بيان موضع الطائرة بأبعاد خط الطول والعرض والإرتفـاع لا تكفي للدلالـة على حركـة الـطائـرة ، ولكن لا بـد من البعد الرابع الخاص بالزمن أي لا بد من معرفة تغيرات الموضع بتغير الزمن .

وبعد أن وضح اتصـال الزمـان مع المكـان صحح بعض الأخـطاء التي وقـع فيهـا نيـوتن ، فشـك في أن التوازن بين الجاذبية والقصور الذاتي كان مجرد صدفـة من مصـادفات الـطبيعة والكـون . وبين تكافؤ القصـور الـذاتي والجاذبيـة الـذي ينص على أنـه لا سبيـل الى التمييزبين الحركة الناتجة من القصور الذاتي كالتعجيل والإصطدام والقوة المـركزيـة الطاردة والحـركة النـاتجة

من قـوة الجاذبيـة . ورفض الأخذ بـالـرأي القائل بـأن الجاذبية قـوة تؤثر على مسـافات بعيـدة وقال : إن قـوة جاذبية الأرض لـلاجسام لا تصـل الى أبعد الآفـاق في الفضاء .

الفـرق بين رأي نيوتن في الجـاذبية ورأي أينشتين هو في بيان الفرق بين القصور الذاتي (الإستمراريـة) والجاذبية ، ونـوضح للقـارىء هذا الفـرق في الأجسام الساقطة ، فـإنه من المعلوم في علم الـطبيعة إذا رمينـا حجراً من محل مرتفع فأنه تزداد سرعـة سقوط الحجـر بزيادة الزمن . ويُرجع نيوتن زيادة السرعـة (التعجيل) الى إستمـرار تـأثيـر قـوة الجـاذبيـة من جهـة والى الإستمرارية من جهـة أخرى ، فلو كـانت قوة الجـاذبية مـوجودة وحـدها لاستمـر الحجر في السقـوط بسـرعـة منتـظمـة فقط ، ولكن القصـور الذاتي أوالإستمرارية[1] تجعـل الجسم يستمـر عـلى سـرعـتـه المكـتسبـة . وبقاء تأثير القوة لا بد أن يزيد في سرعة حركـة الجسم إذا كان يسير على خط مستقيم[2] .

---

(١) يعرفها علماء الطبيعة بأنها محاولة الجسم للمحافظة على حالته في السكون والحركة ما لم يؤثر فيه مؤثر .

(٢) تغيير إتجاه حركة الجسم يحتاج الى قوة .

وتعرف القوة في علم الطبيعة بأنها ما يحرك جسماً ساكناً أو يوقف جسماً متحركاً أو يزيد في سرعة الجسم أو يغير إتجاه حركة الجسم أو يغير شكل الجسم ، وتساوي في المعادلة الكتلة في التعجيل .

ق = ك ع .

أما أينشتين فلا يفرض هذا الفرق بين الجاذبية والقصور الذاتي ، ويعتبر الجاذبية جزءاً من القصور الذاتي ، وهما شيء واحد . وظهر في علم الفلك عدة أدلّة أيّدت آراء أينشتين عن الجاذبية لا مجال لشرحها . وبما أن الحركة نسبية فقد أزال الفرق بين الحركة المنتظمة والحركة غير المنتظمة ، وقال في نظرية النسبية العامة : (إن قوانين الحياة تنطبق على جميع الأجسام دون إعتبارٍ لحالات حركتها) .

في النسبية العامة لا يعتبر الجاذبية قوة بل هي مجال كالمجال المغناطيسي الكهربائي ، وله صفات مشابهة لذلك المجال ، ويرى أن قوة الجاذبية ما هي إلا جزء من القصور الذاتي[1] وحركة النجوم والكواكب لا

---

(١) أوضح اينشتين تكافؤ الجاذبية والقصور الذاتي بعدة أمثلة لطيفة يستطيع أن يفهمها الشخص المثقف ، فراجعها في كتاب (العالم واينشتين) تعريب محمد عاطف البرقوقي ص ٨٢ .

تعتمد على قوة الجاذبية ، وسرعتها المنتظمة لم تنشأ عن التوازن بين قوة الجاذبية (القوة المركزية) والإستمرارية (القوة المركزية الطاردة) ، بل تعتمد على قصورها الكامن والمسالك التي تسلكها تحددها الخواص القياسية للفضاء ، وبعبارة أدق تحددها خواص متصل الفضاء والزمن .

ونظرية أينشتين في الجاذبية لها دلالات كونية عميقة ، فهي تبين أن الكون ليس بناء جامداً أو غير قابل للتبدل ، نثرت فيه أجرام مستقلة في فضاء وزمان مستقلين ، بل بالعكس فإنه متصل متجانس وليس بناء ثابتاً بل هو مرن ومتغير ومعرض دائماً للتغير والتبدل ، فأينما وجدت مادة وحركة فإن المتصل يضطرب ويتشوش ، مثله في ذلك مثل سمكة عندما تعوم في البحر تجعل الماء حولها يضطرب ، وكذلك فإن النجوم أو الشهب أو المجرات تحور هندسة الفضاء والزمن عندما تتحرك خلالهما . ولذلك يمكن تشبيه الكون بفقاعة الصابون المتمددة أو (نفاخة الأطفال) فهو محدود ولكنه غير متناه .

(٣) نظرية المجال الموحد

وبيّن في نظريته عن المجال الموحد أن المادة

تكافىء الطاقـة ، وأنّ المجال الكهـربائي المغنـاطيسي ومجال الجاذبية شيء واحد . فالمادة والطاقة والجاذبية حقيقــة واحـدة لا يختلف بعضهـا عن بعض إلا كمـا يختلف الماء السائل عن بخار الماء أو الثلج ، فالمـادة طاقة مـركزة ، والـطاقة مـادة متحررة ، والمـادة عندمـا تسير بسرعة النور تصبح طاقة ، وحقيقة الوجود واحـدة هي تموج في متصل الفضاء والزمن .

ويظهر للقـارىء من ذلك ، التقـارب الشديـد بين آرائـه وآراء فلاسفـة التصـوف الإسـلامي . فـآراؤه في النسبية الخاصة عن الحركة والزمن والمكـان والكتلة ، مشابهة لنـظرية واجب الـوجود التي تبين أنَّ كـل شيء في الوجود مرتبط بغيره ومتـوقف على غيره . والـوجود القائم بالذات الحي الدائم هـو الله . والنظريـة الثانيـة بالطبع أوسع وأعمّ من النسبية الخاصة .

وآراؤه في النسبيـة العامـة والجاذبيـة العامـة تؤيـد وجـود منـظم لهـذا الكـون ، وتفنـد مفهـوم الجـاذبيـة المؤدي الى إعتبار الكون جامداً ومسخراً لقوة ذاتية آلية جامدة ، بل يظهـر كأنـه يخضع لمحـرك خارج عنـه . ويـظهر ذلـك في الأمثلة التي يشرحهـا لتوضيـح حقيقة الجاذبية .

وآراؤه في المجال الموحد مطابقة تماماً لنظرية وحدة الوجود ، ونظرية وحدة الوجود مؤيدة لوجود الله الواحد الأحد الفرد الصمد . فإن إتفاق الأشياء في حقيقتها ناجم عن علة واحدة وسبب واحد هو الله تعالى ، ولو كانت الأشياء حقائق مطلقة ثابتة لكانت خالدة غير قابلة للتغير . فالكثرة ترجع الى الواحد ، ولولا الكثرة الظاهرة ما عرف الله الواحد ، فهي دلائل لوجوده وآيات بينات ساطعات لنوره الفياض . فالله نور السموات والأرضين .

الأخلاق والتصوف :

يطعن بعض الكتاب في آراء الصوفية بأنها آراء تنطوي على التشاؤم ، ولا تنظر إلى الوجود نظرة تفاؤل ، حيث تجعل الزوال والفناء من صفات الوجود الأساسية . وهذا سوء فهم من الناس ، أو سوء تطبيق من بعض الأتباع . فإن النظرية تمتاز بالشمول والإنطلاق والحرية والتفاؤل . فإن النظرية وإن قالت بزوال الموجودات ، ولكن ما قالت بعدم التجدد وحدوث موجودات جديدة ، أي أنها لم تقل بالفناء المطلق ، بل قالت بالتغير والتجدد أشياء تزول وأشياء تظهر وتحدث . وربما كانت الحوادث الناشئة أفضل من سابقتها . فهي آراء تدعو الى التقدم والتغير إلى

الأفضل لا التغير الى العدم والفناء أو إنقراض الحياة والإنسان . كما أنها حين ترجع الموجودات إلى حقيقة واحدة تفسح أمام الإنسان مجالاً واسعاً من الإمكانيات التي تنفعه وتحقق له الحرية والسعادة ، فيتحرر من قيود الطبيعة ويسيطر عليها ويسخرها لنفعه . وعندما يسيطر على الطبيعة سيطرة واسعة يتحرر من القيود الإجتماعية ، وينصرف الى تهذيب عقله وروحه وأخلاقه ، فتصفو نفسه وتنطلق مواهبه الفطرية وخوارق عقله ، ويقترب من خالقه الذي يكمن في داخله .

ويشرح كتاب (غيتا) للسيد « كرشنا » أخلاق المتصوف فيقول :

إن نشاط العالم يجب أن يستمر في طريقه ، وإن علينا أن نتخلق بالسيرة التي من شأنها أن تساهم في تحسين العالم فنتركه خيراً لأبنائنا مما ورثناه عن آبائنا . لنكن مثل أولئك الطيبين الذين يغرسون الأشجار ليأكل ثمارها أبناؤهم وأحفادهم . علينا بالسعي لإصلاح الإنسانية بإصلاح أنفسنا لنكون أحسن في المواليد القادمة مما كنا في الحياة السالفة ، على رغم أننا ننسى حياتنا الماضية ولا نعرف شخصياتنا الفائتة . وعلى كل إنسان أن يقوم بواجبه الذي يفرضه عليه مقامه في الهيئة الإجتماعية . فليفعل في ظاهره ما

يفعله سائر الناس من أمور الدنيا . ولكنه يبقى في داخله غير متشبث بها . ليعمل ما يعمل من دون الأثرة وحب الذات . وليحافظ على توازنه العقلي في النجاح والخيبة ، في المنشط والمكره ، في السراء والضراء . فالذي تطهر نفسه بهذه الطريقة يسهل عليه التقدم في السيرة الحسنة بالمراقبة والعبادة . يجب القيام بالواجبات من دون أن يسمح لعواقبها أن تقلق سكون البال وطمأنينة القلب . والمواظبة على هذا السلوك هي جوهر فلسفة (ويدانت)[1] .

وهذا المعنى موجود في القرآن والسنة ونهج البلاغة . ويعتبرها متصوفة المسلمين من أصول التصوف . ولكن نقلت هذه الفقرة من الفلسفة الهندية لأنها تعتبر من أصول التصوف القديمة .

والخلاصة أنه يتفق أكثر الفلاسفة القدماء والحديثين في الوقت الحاضر على النقاط التالية :

(١) ـ إن للوجود سراً عميقاً لم يتوصل اليه الإنسان بالتأكيد عن طريق العلم والتجربة . وإن توصَّل إليه على الإجمال عن طريق البداهة والدين . ويأمل الفلاسفة والعلماء والباحثون أن يقتربوا من هذا

(١) مجلة ثقافة الهند عدد يونيو ١٩٥١ .

السر في المستقبل عن طريق تقدم علم الطبيعة وعلم الفلك والرياضيات وعلوم الحياة وعلم النفس . وللفقيد الوالد طاب ثراه أبيات جميلة في هذا المعنى :

إن هذا الوجود بحر ولكن
أين من في الوجود يسبر قعره
ولهذي الأكوان لب ولكن
ما عرفنا حتى لحاه وقشره
ولهذي الحياة معنى ولكن
علنا بالممات نعرف سره

فهو متيقن من وجود هذا السر ولكن لا يعرف كنهه .

(٢) - إن للوجود حقيقة واحدة . فهو بسيط الذات معقد في ظواهره وصفاته .

(٣) - إن الموجودات مركبة ومعقدة ومترابطة مع بعضها .

(٤) - إن الموجودات متغيرة دائماً . كل شيء يتغير من حال الى حال . وأهم حقائق العلوم والحياة هي الوقائع والأحداث . والعلم يبحث كيف تحدث

الأشياء أي يبحث عن تغير الأشياء . والتغير الذي يسود العالم يشمل التركيب والتحليل ، فتركيب يعقبه تحليل وتحليل يعقبه تركيب ، والله للحكمة ، جعل التغير ضعيفاً بطيئاً في الغالب ، وشديداً سريعاً تارة أخرى .

فالأصالة والثبوت ليست للأشياء والموجودات لأنها متغيرة وفانية . وليست الأصالة للمثل أو الماهية كما رأى أفلاطون ، بل الأصالة للوجود ، وحقيقة الوجود التغير والحوادث والحركة والتموج . ولكن ما سبب هذه الحوادث في الوجود ، إنه الله . فهو خالق الموجودات والمحافظ عليها ومغيرها . والتطور الذي يسود عالم الجماد وعالم الأحياء لا يناقض الدين بل يؤيده لأن الثبوت والخلود لله وحده والأشياء كلها متغيرة .

(٥) ـ يجب على الفرد الإنساني في سعيه للقيم الرفيعة ، الحق والخير والجمال والمحبة وغيرها ـ أولاً ـ أن لا يفصل الفرد نفسه عن الوجود (ويدخل ضمنه الطبيعة) ، ولا يفصل نفسه عن المجتمع الإنساني ، فلا بد من التعاون بين الفرد والمجتمع للوصول الى الحقيقة . فهنالك تعامل بين الفرد

والمحيط (طبيعياً كان أو اجتماعياً) . المحيط يؤثر في الفرد والفرد يؤثر في المحيط ، والعقل وسط بينهما ، يستقبل الحوافز ويصدر الأوامر للأعضاء المختلفة . - ثانياً - يجب عليه أن لا يفصل العلم عن العمل فلا يفصل معرفته عن سلوكه الشخصي ونشاطه . ولا يفصل العلم النظري عن العلم التطبيقي ، أي لا يفصل العلم كغاية عن العلم كوسيلة لخدمة الفرد والمجتمع .

النجف الأشرف

عبد الحليم آل كاشف الغطاء

بسم اللهِ الرحمن الرحيم

تمهيد

أحمد الله على جسيم نعمائه . وعظيم آلائه .
مصلياً على أنبيائه وأصفيائه
وبعد

فهذه دروس دينية ـ أمليتها لتدرسها الناشئة العربية التي لا تجد بداً من الدخول في هذه المدارس الجديدة الموضوعة على الطرْز الحديث .

ومعلوم أن الأمَّة أيَّ أمَّة كانت ـ لا تبقى حية في معترك هذه الأكوان ولا تقف في صف الأمم والشعوب النابهة الذكر ـ إلا في الإحتفاظ بجنسيتها وقوميتها . ولا تحفظ ذلك إلا بالتمسك الشديد والعناية بلسانها وحفظ المستحسن من عاداتها وأخلاقها ودينها . وإلا فلو أن العرب مثلاً تخلقوا بأخلاق الصين ، وتزيوا بأزياء الأوروبيين ، أو تدينوا بدين البراهمة والبوذيين ، لم يكونوا عرباً ولماتت الأمة العربية وذهبت ذهاب أمس

الدابر ، ولأمَّحت من صفحة هذا الوجود كما إمحى غيرها من الأمم ذات الحْول والطْول كالأشورية وغيرها ، وأهم ما يُلزم بالأمة للمحافظة على بقاء جنسيتها وإستبقاء حياتها ـ المحافظة على لغتها ودينها فهما للأمة بمنزلة الروح والحياة السارية في العروق . فالدين روحها واللغة حياتها . وقد ألقيتُ هذه الدروس قياماً بذلك الواجب عسى أن يحس وِلْدان اليوم ، وهم رجال الغد بالضرورة الماسَّة الى التمسك بدينهم . والإلتزام بالمهم من أحكام شريعتهم . إذ يصح أنْ يقال إنهم هم السبب الوحيد في إستبقاء حياة الأمة العربية الى الغد وما بعده . وإذا انسلخوا من دينهم ولغتهم (لا قدر الله) فعلى العرب والعربية السلام ، ناهيك بما للدين من الفضائل وجمعه لأسباب سعادة الدارينْ وفوز النشأتين . وحفظ نظام الهيئة الإجتماعية وكل ما فيه صلاح النوع والأفراد ـ الى ما لا يسعه المقام من سرد فوائده ومزاياه . أخص بذلك دين الإسلام الذي هو خاتمة الشرائع والأديان ـ الذي جمع فأوعى ، وأخذ وما أبقى . وأرجو أن يكون في القدر المودع في هذه الأوراق من مهمات الدين ، كفاية للمبتدئين . وإن كان في بعض العبارات إغلاق أو إبهام ، فالمعول على كفاية المدرسين من أهل الفضل في توضيح

المـرام وتلقيح الأفهـام ، وإبلاغ الغـرض بحسن البيان للتلاميذ . أحسن الله لهم التوفيق جميعاً .

ولما كان الـدين مجموع ـ إعتقـادات . وأعمال . وأخلاق وضعنا هذا المؤلف على ثلاثة أبواب .

الباب الأول

في العقائد

﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ، ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[1] .

(تمهيد)

الدين والشريعة والملة والمذهب ، ألفاظ مختلفة ومعانيها متقاربة . ويستعمل معنى كل منها موضع الآخر فتكون جميعاً بمعنى واحد كما تقول دين الإسلام ، وشريعة الإسلام ، وملة الإسلام ، ومذهب الإسلام . والإضافة في الجميع لفظية ، والمعنى

دين ، هو الإسلام ، قال تعالى : **﴿إن الدين عند الله**

---

(١) البقرة سورة٢ . آية٢٨٥ .

الإسلام﴾[٢] ومن يعرف اتحاد الدين مع الإسلام كاتحاده مع مرادفاته المتقدمة ، ويستعمل الشريعة والملة والمذهب إستعمالاً أخص من الدين حيث يراد بها أحكام العبادات والمعاملات فقط دون العقائد . أما الإيمان فهو أخص من الدين ، كما هو أخص من الإسلام ، فكل مؤمن مسلم ولا عكس . فالمسلم من أظهر الإعتقاد بإن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله وشهد بهما ـ والمؤمن من إعتقد بهما قلباً وجرى على مقتضاهما قولاً وعملاً . ويقابل المسلم الكافر وهو من لا يشهد الشهادتين . ويقابل المؤمن المنافق وهو من يشهد الشهادتين ـ ويعلم من حاله عدم الإعتقاد بهما قلباً . فظهر إن وراء الدين أموراً أربعة : الإسلام ، والإيمان ، والكفر ، والنفاق . وبذا يستطيع التلميذ أن يجيب عن الأسئلة الآتية :

ما الدين؟ ما الإيمان ؟ ما الكفر ؟ ما النفاق؟ .

---

(٢) آل عمران سورة٣ . آية١٩ .

الإيمان

تعريفه

الشائع في كلمات العلماء وكتبهم أن الإيمان هو إعتقاد بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . فالإعتقاد بالجنان معرفة أنّ الله جل شأنه هو الإله المعبود بالحق ، الخالق لكل ما عداه من الخلق ، واحد لا شريك له في الربوبية ، ولا مثيل له في الوحدانية ، وان محمداً عبده ورسوله أرسله بما فيه سعادة البشر في الدارين . ويتم هذا بإعتقاد الولاية لأهل بيته والبراءة من عدوهم . أمّا الإقرار باللسان ، فهو أن يعترف بتلك الأمور ويتخذها ديناً له ونحلة .

وأما العمل بالأركان فالمراد بها الدعائم التي بني عليها الإسلام وبها يكمل الإيمان . ففي أخبارهم عليهم السلام بُني الإسلام على خمسة أشياء : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والولاية . وسئل صادق أهل البيت سلام الله عليهم عن الإيمان الذي لا يسع أحداً جهله ، فقال عليه السلام : شهادة

أنْ لا إلـه إلا الله ، وإن محمداً رسـول الله ، والإقـرار بما جاء به من عند الله . وإقام الصلاة وإيتـاء الزكـاة ، وصـوم رمضان ، والـولايـة لنـا والبـراءة من عـدونـا ، وتكون مع الصديقين .

حقيقة الإيمان

تلك هي الكلمات الدارجة في تعريف الإيمـان ، ولكنهـا تعريفـات رسمية تشيـر الى الحقيقـة من بعض وجـوههـا لا إلى ذاتهـا . وحقيقـة الإيمـان ، من حيث الشهـود والـوجـدان ـ أن تتكيف[1] الـنفس بـصفـة اليقين بـوجـود ذات مقـدسـة عن كـل صفـة نقص من صفات المخلوقين متصفة بكل صفات الكمـال والغنى وبمـا أن ذلك الـوجود يحتـاج إليه كـل إنسان في آنـاء حياته ، ووجوده لأنه العلة فيه ، فهو الشـاهد والـرقيب عليه ، وهو القائم على كل نفس بمـا كسبت . ويكون تكيف نفسه بهذه الصفـة على نحو تكيفهـا باليقين بـأن النـار محرقـة والشمس مشـرقـة . يستحيـل أن يتـطرق الشك اليه ، فضلاً عن التحول والتبدل ـ كما يستحيـل أن يجـري على خـلاف مقتضـاه ، فيـمـد يـده الـى النار أو يوقد مصباحـاً مع ضـوء الشمس . وكذلـك مع

---

(١) تكييف النفس بـاليقين تصيير اليقين كيفيـة من كيفياتهـا وملكـة من ملكاتها ، بحيث لا تفارقها ولا تنفك عنها مثـل ملكة الجـود والشجاعة وأمثالها .

الإيمـان الكامـل بالله يمتنـع أن يرتكب مـا يغضبه ، أو يترك ما يوجبه .

وتلك الصفـة هي التي يعبر عنهـا بـاليقين تـارة ، وبالإيمان أخرى ، وبالتقوى ثالثة . وقد جمع كل ذلك بعض أئمـة الهـدى (ع) في كلمتين حيث قـال : التقـوى أن لا يراك الله حيث نهـاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

الإيمان الصحيح .

الإيمان مراتب ودرجات لا حد لهـا في النهايـة ، وأول درجـاته في البـداية ، السكينـة والـطمـأنينـة التي تهبط على القلب بـأن الإنسان رهين بـأعمـالـه مسؤول عنهـا في محكمة الجـزاء بين يدي ربـه ـ تلك السكينة التي تبعث روح النشـاط الى العمـل . وتنفض غبـار الخمول والكسل . تلك السكينـة الروحيـة هي الإيمان الـذي أراده الله جل شـأنه لعبـاده ، وبعث بـه الأنبيـاء والرسل حياة للنفوس ، وتعزيزاً للشعوب، وتوسيعـاً في العلوم ـ لا الـذي يخنق المشـاعـر ويقتـل النفـوس . ويميت العزائم تحت نير الجهل والذلة[1] .

---

(١) لقد دفع المؤلف بهذا البيان الطعن الذي يقول به الملحدون ، بـأن الدين يبعث الى الكسـل وترك العمـل وتخدير الجمـاهيـر

أول درجات الإيمان أن تخضع النفس وتذعن للقوة المدبرة التي هي مصدر كل القوى ، ويعرف أنها ربطت المسببات بأسبابها وأمرت بأن تؤتى البيوت من أبوابها . وأنها قدرت لكل عامل جزاء عمله ، وأن أجره بمقدار سعيه ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وحينئذ يجري لطلب الغايات الشريفة من مسالكها المشروعة ثابت الجأش مطمئن القلب غير متكاسل ولا متوانٍ ، معتمداً على تلك القوة المدبرة والعناية الكبرى التي كان من بعض ألطافها أن أرسلت الى البشر مبشرين ومنذرين ، يوضحون السبل ويكشفون الحجب ، ويدلون على المهالك والمهاوي . وعززتهم بالكتب الإلهية ، والأرواح اللطيفة العلوية (الموسومون)[1] بأسم الملائكة . والغاية من كل هذا الإهتمام تسهيل طرق البشر للوصول الى سعادة هذه الحياة وما بعدها من الحياة الأبدية والسعادة السرمدية ، التي هي عبارة عن إنتهاء الى علم لا جهل معه وغنى لا فقر فيه ، وحياة لا موت بعدها ، وصفاء عيش لا كدر معه .

= وصرفها عن المطالبة بحقوقها . وهي نقطة هامة انتبه اليها المؤلف .

(١) كذا في الأصل.

هذه هي خلاصة معنى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وبما ذكر يتضح لك أيضاً الصحيح من معنى الإيمان بالقدر ، فتدبره جيداً .

إثبات الصانع

يجب معرفة الصانع ، يعني تحصيل العلم بأن للعالم صانعاً ، ويجب أيضاً معرفة صفاته ، كتوحيده وقدرته وعلمه ونظائرها حسب الطاقة البشرية . والدليل على هذا الوجوب ، بعد إجماع كافة الملل ، عقلي وسمعي . أما العقلي فمن وجهين :

(الأول)

قاعدة دفع الضرر المحتمل : فإن الإنسان إذا بلغ سن التمييز، وبلغه أن للناس أدياناً ومذاهب ، وأن لهم معبودات يعبدونها تضر وتنفع ، فلا شك أنْ يتطرق إليه إحتمال الضرر في الدنيا والآخرة إذا لم يسلك طريق المعرفة وتحصيل العلم بمعبوده . ودفع الضرر المحتمل واجب بحكم العقل . ولذا يذم العقلاء من يسلك في سفره طريقاً غير مأمون السلامة ، ومحتمل الهلكة ، بل الضرر في المقام متيقن لأن الشك يوجب الخوف والخوف ضرر فعلي ، لأنه يوجب القلق وسلب الراحة .

(الثاني)

من طريق شكر المنعم : فإن شكر المنعم واجب ، وبيانه أن الإنسان إذا بلغ سن التمييز عرف أنه متمتع بجملة من النعم : أولها وأفضلها نعمة الوجود ، فيلزمه شكر هذه النعمة لإحتمال أن عدم شكرها موجب لزوالها. وشكر المنعم موقوف على معرفته ليكون شكره مناسباً لشأنه وإلا لم يكن شاكراً. والباري تعالى هو الصانع، والموجد منعم ، فيجب معرفته كي يمكن القيام بشكره على ما يناسب شأنه تعالى شأنه . ومن معرفته معرفة أنه حكيم ، ومقتضى حكمته أن يكلف العباد بما فيه صلاحهم ولا يتركهم سدى كالبهائم . فيجب معرفة مبلّغ التكاليف ، وهو النبي (صلى الله عليه وأله) وحافظ التكاليف وهو الإمام ، ومعرفة الجزاء للطاعة والمعصية وهو المعاد . وأنه تعالى لا يظلم عباده وهو العدل . وهذه ، بعد معرفة الصانع ، هي العقائد الخمس المعروفة بأصول الدين : (التوحيد) و (العدل) و (النبوة) و (الإمامة) و (المعاد) ، فيجب معرفتها .

أما الدليل السمعي فمن وجهين أيضاً :

(الأول)

قوله تعالى : ﴿فاعلم أنّه لا إله إلا الله﴾[1] والأمـر للوجوب .

(الثاني)

أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿إن في خلق السمـوات والأرض ، وإختـلاف الليـل والنهـار لآيـات لأُولي الألباب﴾[2] قال النبي (صلى الله عليه وأله) ويل لمن لاكهـا بين لحييه ولم يتـدبـرهـا . ووجـه الـدلالـة أنـه صلوات الله عليه ذمّ من يتلو الآية ولا يتدبّرها. والمراد بـالتـدبـر في الآيـة جـزمـاً هــو الإستـدلال بالأجـرام السمـاوية ، والحـركات الفلكيـة ، وما في السمـاوات والأرض من آثـار الصنعـة ، وعـظم القـدرة ، الــدالـة بالضرورة على وجود صانعها ، وباهـر قدرتـه ، وبديـع حكمتـه ، وواسع علمـه . فيكـون النـظر والإستـدلال الموجبين للمعرفة والعلم واجباً وهو المطلوب .

ومن هـذه الأدلـة العقليـة والسمعيـة ظهـر لـك أن الواجب هو المعـرفة عن الـدليل والبـرهان ، ولا يكفي صـرف الإعتقاد الحـاصـل غـالبـاً من تقليـد من الآبـاء

(١) محمد سورة٤٧ . آية١٩ .

(٢) آل عمران سورة٣ . آية١٩٠ .

والأمهات ، لأنّ الواجب هو العلم ، والتقليد ليس بعلم . كيف وقد ذم الله سبحانه وتعالى . التقليد في أصول الدين والعقائد حيث قال جل شأنه في ذم الكفار قالوا : **﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾**[1] . وحث على النظر والإستدلال بقوله تعالى : **﴿إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾**[2] .

في إثبات الصانع وإثبات توحيده ، لا بد من تمهيد مقدمة (أولاً) وهي أن كل معنى يتصور في الذهن إذا نسبناه الى الوجود الخارجي ، يعني لو فكرنا أنه : هل هو موجود فعلاً أوْلا ؟ . وعلى الثاني فهل يقبل الوجود أولا ؟ وهل وجود ما هو موجود من ذاته أو من غيره ؟ ونرجع فنقول : كل معنى ذهني إذا قسناه الى الوجود ، فإمّا أن يكون نفس ذاته يقتضي أن يكون موجوداً ، أي لو تصورناه مع قطع النظر من كل شيء سوى ذاته لكان موجوداً .

وإما أن يكون نفس ذاته يقتضي أن لا يكون موجوداً . وأما أن يكون نفس ذاته فلا يقتضي الوجود

---

(١) الزخرف سورة٤٣ . آية٢٣ .

(٢) الأحقاف سورة٤٦ . آية٤ .

كما لا يقتضي العدم ، بل هي في حلق الوسط بين الطرفين لا يقتضي هذا ولا ذاك . فالأول هو واجب الوجود لذاته ، والثاني هو الممتنع أي المستحيل لذاته ، والثالث هو الممكن الذي لا تقتضي ذاته الوجود ولا العدم ، فقد يوجد وقد لا يوجد ، فإن إقتضت علته وجوده وجد وصار موجوداً وواجباً بالغير ، وإن لم توجد علة وجوده أو وجدت علة عدمه كان ممتنعاً بالغير . ومن هنا ظهر أن الواجب تارة يكون واجباً بالذات وهو واجب الوجود ، وتارة واجباً بالغير وهو الممكن الذاتي الذي وجد بوجود علته . وكذلك الممتنع تارة بالذات وهو المستحيل كإجتماع النقيضين ، وتارة بالغير وهو الممكنات الذاتية التي لم تتحقق علة وجودها ، ويمتنع تحقق المعلول بدون العلة . أما الإمكان فلا يكون إلا ذاتياً ولا معنى للإمكان بالغير أصلاً كما يظهر بأدنى تأمل . ثم من أخص لوازم الوجود ومزاياه القدم وإستحالة أن يتطرق اليه العدم . ومن أخص لوازم الإمكان الحدوث أي كونه مسبوقاً بالعدم . يظهر من التأمل مما قدمناه من لوازم الواجب الذاتي أي واجب الوجود ، وإستحالة إجتماع وجوبه الذاتي مع وجوبه الغيري ، لأن الواجب الغيري يمكن أن يرتفع بإرتفاع الغيري ، والواجب

الذاتي يستحيل إرتفاعه على كـل تقديـر . وبنحو آخـر الـواجب الغيري معلول والـواجب الذاتي لا علة لـه . وكـــون الشيء معلولاً وغيـر معلول تنــاقض . ووجـود الـواجب الغيـري زائـد على ذاتـه . والـواجب الـذاتي وجـوده عين ذاته ، وهـو بسيط لا تركيب فيـه أصـلاً ، وإلّا لكـان ممكنـاً لإحتيـاجـه إلى الآخــر . والـواجب الغيري مركب من المـاهية والـوجود . والمـاهية يمكن أن تتعـدد بتعدد أفـرادها . والـواجب الـذاتي يستحيـل تعدده لأنه لا ماهية له ، ولو كان له مـاهية لكـان ممكناً وقد فرضناه واجباً بالذات وهذا خلف .

ومن كل هذا ظهر لك أن الممكن تتساوى إليه نسبة الوجود والعدم وليس أحدهما أولى من الآخر ، بل هما بالنسبة إليه مثل كفتي ميـزان . ولـو كان أحـدهما أولى به من الآخر ، خـرج من معنى الإمكان الـذاتي ، وقد فـرضناه ممكنـاً . ومن جهة تسـاوي نسبة الـطرفين إليه كــان محتــاجــاً في وجــوده الى المؤثــر أي العلة ، ويستحيـل الترجيـح بلا مـرجح ، فـوجـوده يستنـد الى وجود علته ، وعدمه لعـدم علة وجوده . وعلة إحتيـاجه الى العلة هـو إمكـانـه لا حـدوثـه ؟[1] . ولـذا يحتـاج

---

(١) يقصد في هذه العبارة وما بعـدها ان المـوجود بعـد أن يحدث =

الممكن الموجود في بقـائه إلى العلة كمـا يحتاج إليهـا في حدوثه لانَّ إمكانه لا يـزول حتى حين وجوده وبعـد حدوثه . فتدبر جيداً .

بعد ما عرفت تلك المبادىء المحكمة والمقدمات المبـرهنـة نقـول في الإسـتـدلال على إثبـات الصـانـع وتوحيده ، إنه لا شك أننا نرى في الخـارج موجـودات كثيرة ونراها متغيرة ولها حالات مختلفـة ، ولا شك أن كـل متغيـر حـادث وكـل حـادث ممكن . إذن فهـذه المـوجودات ممكنـة وكل ممكن يحتـاج في وجوده الى علة ويفتقـر الى سبب ، فـإن كـانت تلك العلة واجبـة الـوجود بـالذات فـلا تفتقر الى علة بـل هي علة العلل وينقـطع عندهـا السؤال وقد ثبت المـطلوب . وإلّا لزم أنْ لا يـوجد شـيء من الممكنـات المحسـوسـة وهـو باطل بـالضرورة . وإن شئت قلت إن هـذه الوجـودات الإمكـانيـة معلولـة والمعلول يـدل على وجـود العلة لا محالة . وتلك العلة إن كـانت نفس تلك الممكنات أو بعضهـا لزم الـدور ، وإنْ كـانت غيـرهـا نقلنـا الكـلام

= يبقى ممكنـاً ولا يكتسب صفة الـوجوب بعـد حدوثـه ، ويحتاج الى العلة لبقائه بعد حدوثه كما احتاجها قبل حدوثه ، أي انه لا بد أن يتغير أو يزول بعد حدوثه طال أمد بقائه أم قصـر أي يبقى ممكناً .

إليهـــا ، وإن كـان واجبـاً ثبت المـطلوب . وإلّا لــزم التسلسل ، والدور والتسلسل باطـلان بالضـرورة ، إذن فلا بد من وجوذ الصانـع الذي هـو واجب الوجـود ولا مجال لإحتمال تعدده ، لما عـرفت من أنَّ لازم وجوب الـوجود عـدم التعدد والإستحـالـة الأثنينيـة فيـه ، فهـو الواحد الأحـد الفرد الصمـد الذي لا إلـه إلا هو جلت عظمته . ومن هناك يسعك أن تعرف أن الإستدلال من طريقين :

(**الأول**)

من النـظر الى المـوجـودات والتـوصـل إلى العلل والأسبـاب من المعلومات والمسببـات وهو المشـار إليه بقوله تعالى: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**﴾[1] وهـــذا نفس مـا إستــدل بـه الأعــرابي من أن البعــرة يـدل على البعير ، وأثـر الأقـدام يـدل على المسيـر . فسمـاء ذات أبـراج ، وأرض ذات فجــاج ، لا يـدلان على اللطيف الخبير .

(**الثاني**)

من النظر في نفس الوجـود وتقسيمه الى الـواجب والممكن ، والتوصل بهـذا الى ضرورة تحقق الـواجب

---

(١) فصلت سورة٤١ . آية٥٣ .

جل شأنه وهو المشار اليه بقوله تعـالى : **﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾**[1] .

والبحث الثاني بعد الفراغ من إثبات ذاتـه . إثبات صفـات الواجب ، وصفـاته تعـالى ثبوتيـة وهي صفات الكمـال ، وسلبيـة وهي صفـات النقص ، فكـل صفـة كمـال لا تستلزم نقصاً فهي ثـابتـة لـه كـالعلم والحيـاة والقدرة، وكل صفة نقص فهي منفية عنه، كالجهل والعجز والفقر ونحو ذلك، وأمهات صفات الكمال أي الصفات الثبوتية
ثمان وإلّا فأوصافه الكمالية من جمالية وجلالية لا تعـد ولا تحصى . ونبدأ من صفات الكمال بالقـدرة ولازمها الإختيار . وإنما بدأوا بها لأنها أقرب الى الصنـع الذي تقدم الكلام فيه من جهة إثبات الصانع . أما إثبات أنه قـادر فلأن القـدرة صفة كمـال ، فلو لم تثبت لـه ثبت ضدها وهو العجز وعدم القدرة ، وهو باطل لما عـرفت من أن الـوجوب الـذاتي يعني واجب الوجـود يستحيـل تدخل العدم فيه ، ولو تدخـل العدم فيـه كان ممكنـاً ، وقـد ثبت أنه واجب . فلو لم يكن قـادراً لكـان واجبـاً ممكناً ، وهذا محال ، إذن فهو تعالى قـادر لا محالـة ،

---

(١) فصلت سورة٤١ . آية٥٣ .

وإذا ثبت كونه قادراً ثبت كونه مختاراً .

إذن الإختيـار من لـوازم القـدرة ، بـل بـبعض الإعتبارات هو عين القدرة . وتوضيـح ذلك أن كـل أثر يصدر عن مؤثر ، فإما أن يصدر عن قصد وشعور وعلم وإرادة ، وإما أن يترتب عليه ويصدر عنـه قهراً من غيـر إرادة ولا علم كـالنـار في إحـراقهـا ، والشمس في إشـراقها . والأول هـو الفاعـل المختار ، والثـاني هـو الفاعل الموجب ، وبينهما فرق ؛ فالأول يمكنـه الفعل والتـرك معاً لأمـر واحـد ، دون الثـاني ، وقـد شـرحنـا صفـاتـه تعـالى فـي الجـزء الأول من كتـاب الـدين والإسلام .

توحيد الصانع والقول بوحدة الوجود

لا ريب أن كـل ذي حس ، حتى الحيـوان فضـلاً عن الإنسان ، يفهم للوجود معنى ، ويميز بين الموجود والمعدوم .

والحكمـاء بعد أن إتفقـوا على أن مفهوم الـوجـود المأخوذ من جميع الموجودات المتعينة واحد ويعبر عنه بطارد العدم تارة ، وبما يترتب عليه أثر الشيء الخاص به أخرى ، وما أشبه ذلك من العبارات التي هي شـرح الأسم والمعـرف اللفظي ، لا بيـان الكنـه والحقيقـة .

ولذا قالوا إن الوجود مفهومه من أوضح الأشياء وكنهه في غاية الخفاء . وبعد إتفاقهم على وحدة مفهومه وبداهة تصوره وإستحالة معرفته أو تعريفه بجنس أو فصل[1] ، إذ هو ليس بجوهر ولا عرض ولا جنس له ولا فصل ، فإنها حدود للماهيات لا للوجود . وإختلفوا في الموجودات الخارجية المتباينة الماهية والحقيقة : كالإنسان والحجر والشجر ، وإن وجودها الخارجي بقطع النظر عن ماهياتها المتباينة ، هل هو حقيقة واحدة كمفهوماتها الذهنية ، أو متباينة كماهياتها الواقعية ؟ فقالت طائفة ، وهم المشاؤون من تلامذة أفلاطون : إنها متباينة كماهياتها[1] . ولازم هذا أن يكون الوجود عندهم من المشترك اللفظي[2] ،

---

(١) الجنس والفصل اصطلاحان في علم المنطق لتعريف النوع مثلاً عندما نقول (الإنسان حيوان ناطق) فالإنسان نوع والحيوان جنس والناطق فصل .

(١) قال في التعريفات : « الماهية تطلق غالباً على الأمر المتعلق مثل المتعلق من الإنسان وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود والأمر المتعلق من حيث أنه معقول في جواب ما هو سمي ماهية ومن حيث ثبوته في الخارج سمي حقيقة ومن حيث امتيازه عن الاغيار هوية » والماهية تقارب معنى المثل عند أفلاطون .

(٢) المشترك اللفظي مثل كلمة العين الباصرة وينبوع الماء وكفة الميزان وغير ذلك .

وهـو موضـوع لمعانٍ لا تتنـاهى ، وكـل وجـود مبـاين للآخر فضلاً عن تباين الحقيقة . وقالت طـائفة أخـرى بـأنه في الخـارج حقيقة واحـدة كما هـو في الذهن ، وإطلاق الوجود عليها من المشترك المعنوي لا اللفـظي سـواء كانت معـروضات الـوجود أفـراد حقيقـة واحـدة كـأفراد الإنسـان ، أو حقائق مختلفـة كـأفـراد الإنسـان الحجر ، فإن الوجود في الجميع واحد بالنظر الى ذاتـه وحقيقتـه . نعم حقيقة الـوجود تختلف مصـاديقهـا في الشـدة والضعف والخفـاء والـظهـور ، ففيهـا الـواجب القديم الأزلي الذي وجوده بذاته وغناه بنفسه، وهو علة العلل ومصدر كل الكائنات. وفيها الوجود الممكن المحتاج في حدوثه ووجوده إلى الواجب ، فهو واجب بالغيـر وعلته واجب بالذات . لكنه مع هذا الإختلاف العظيم والبون الشاسع ، فنفس طبيعة الوجود فيهما واحـدة ، وهي ما نعبـر عنه بـالظهـور والتحقق وأمثال ذلـك . ولهم على ذلك عدة براهين رصينة أوضحهـا وأنقحها أن المفهـوم الـواحد لا يعقـل أن ينتزع من حقـائق مختلفة ومعـاني متبـاينة ليس بينهـا قـدر جـامـع ووجـه مشتـرك ، وإلا لبطلت الحكمة وحالت الحقائق وصح إنتزاع كل شيء من كل شيء .

وهـذا المـذهب هـو الحق الصـراح الـذي يقيمـهُ

البرهان ويدعمه الوجدان . ووحدة الوجود بهذا المعنى مما لا محيد عنه ، وهي الأساس لأكثر القواعد في العلم الإلهي ، ولا تنافي شيئاً من قواعد الدين وعقائد الإسلام ، بل لا يتم توحيد الحق وحق التوحيد إلا بها . ولذا لما أورد (أبن كمونة) شبهته المشهورة في إمكان وجود الشريك لواجب الوجود : (تعالى الله عن ذلك) . إرتبك أهل الرأي في دفعها بل عجزوا عن الجواب عنها ، حتى قال بعضهم لو بعث الله نبياً في هذا الزمان لم أسأله من المعجزة إلا دفع شبهة أبن كمونة . وفي الحق أنها على ذلك المبنى لا مجال لدفعها ، كما أنها على المبنى الثاني لا مجال لورودها ، فضلاً عن الحاجة الى دفعها ، وشرح ذلك يحتاج إلى فضل بيان لا يسعه المجال . إنما جل الغرض أن وحدة الوجود بهذا المعنى هي الحق ولا يتم إلا بها وحدانية الحق ، ولا يقدح في هذه الوحدة أن نقول أن واجب الوجود هو الوجود الحقيقي ، ووجود الموجودات الإمكانية وجود مجازي نظراً إلى ضعفها وحاجتها إلى علتها وعدم بقائها ، وإن كانت بحسب الحقيقة وجودات ذات آثار جُلى ولها حظها من الوجود ، وهي بالقياس الى وجود الواجب كالعدم .

نعم هناك معنيان آخران لوحدة الوجود :

(أحدهما) أن الوجود في ظرف الخارج والتحقق ليس إلا ذلك الوجود الواجب الأزلي ، وباقي الوجودات الإمكانية كلها أفعاله ، والفعل أثر الفاعل ، ولا وجود له سوى وجود فاعله ، فليس في الدار غيره ديار ، وشعاع النار لا وجود له سوى وجود النار ، ولعل هذا المعنى هو الذي يرمز اليه العرفاء وكبراء التصوف في كلماتهم، واليه الإشارة بقولهم :

كل ما في الكون وهم أو خيال
أو عكوس في المرايا أو ظلال

وقول آخر :

وما الوجه إلا واحد غير أنه
إذا أنت عددت المرايا تعددا

وعليه يحمل شطحات بعض كبرائهم كقول الحلاج : أنا الحق وما في جبتي إلا الحق . وقول الجنيد، لمن روى له حديث : كان الله ولم يكن معه شيء ـ الآن كما كان ـ يعني أن الفعل ليس مع الفاعل بل من الفاعل ، فهو متأخر عنه وقائم به . ولكن لا يصح به أمثال قول القائل : أنا أنت فسبحانك سبحاني . إلا على نظرية أنا من أهوى ومن أهوى أنا . وعلى كل فتلك الكلمات من المبهمات التي لا

توافق بظاهرها ظواهر الشريعة ، وربما تكون لأربابها مقاصد صحيحة والسرائر لله .

(الثاني) إن الموجودات كلها هي الوجود الواجب ، ولكن ليس هو إلا هذه العوالم المحسوسة والمعقولة ، وهي بأجمعها تطوراته وتشكلاته . وهذا هو الكفر المحض والضلال المبين ، وإليه أشار بعض الحكماء الراسخين في أسفاره حيث قال : إن بعض الجهلة من المتصوفين المقلدين الذين لم يحصلوا طريق العلماء العرفاء ولم يبلغوا مقام العرفان ، توهموا لضعف عقولهم ووهن عقيدتهم وغلبة سلطان الوهم على نفوسهم ، أن لا تحقق بالفعل إلا للذات الأحدية المنعوتة بألسنة العرفاء بمقام الأحدية وغيب الهوية وغيب الغيوب ، مجردة عن المظاهر والمجالي ، بل المتحقق هو عالم الصورة وقواها الروحانية والحسية والله هو الظاهر المجموع لا بدونه[1] . إلى أن قال :

---

(١) اعتبار أن الموجودات هي واجب الوجود فيه شيء كثير من التعقيد في المعنى . أحد المعاني أن الموجودات شريكة لله في الثبوت وعدم التغير وهذا ما ينقضه العلم . والأخر أن الله ليس له وجود مستقل عن الموجودات ولا هيمنة له عليها وهذا كفر محض . إذن كيف نشأت الموجودات من العدم ؟ ولماذا تتغير ؟ .

وهـذا كفر محض وزنـدقة صـرفة لا يتفـوه من له أدنى مرتبة من العلم ، ونسبة هذا الأمـر الى أكابـر الصوفيـة ورؤسـائهم إفتـراء محض وإفـك عـظيم يتحـاشى عن أسرارهم وضمائرهم .

وأقول : إن هذا هو عين قول الماديين والطبيعيين، وإلا فأنه أخوه غذته أمه بلبانها .

وقـد تجلى لك أن لـوحدة الـوجود ثـلاثة معـان : صحيح لا ريب فيه ، وباطل لامرية فيه ، ومجمل أمره إلى الله . فالعرفاء قصروا نظرهم على مقام الـوحدة ، وجهلة الصوفية قصروه على الكثرة . والحق هو الجمع بين الـوحدة والكثـرة ، ورد الكثـرة الى الـوحـدة ، ولا ريب أن الكثيـر أصله الـواحـد عـز شـأنـه وسـطع برهانه[1] .

---

(١) ان النبذة الأخيرة هي أحسن خـلاصة وتـوضيح لنـظرية وحـدة الوجود .

العدل الإعتقادي (*)

فنقـول : ومن الله المعونـة أنه قـد إتفقت قـاطبـة المسلمين على إختـلاف مذاهبهـا وأذواقهـا ومشـاربهـا على إتصاف ذاته تعالى بالعـدل في الجملة ، بل ظني أن ذلك مذهب كل من يقول بثبوت الفاعل المختار في المبدأ حتى الأشاعرة ، وجعلهم في مقابلة العدلية إنما هو بإعتبار لازم قولهم ومذهبهم في مسألة أخرى ، كما سيتضح لك ذلـك إن شاء الله ، وإلا فهم قـائلون بأنـه جـل شـأنـه متصف بـالعـدل منـزه عن الـظلم . كيف والكتـاب العزيـز طافـح بـذلـك على وجـه الصـراحـة والنصوصية بحيث لا يصح من مسلم إنكاره . نعم لهم مـذهب يستلزم ذلـك لـزومـاً بتيـاً ، ويؤدي اليـه أداءً بديهياً ، وذلـك أنهم أنكروا الحسن والقبـح العقليين، بمعنى أن يكـون للعقـل حكم بـأحـد الأمـرين على

(*) من كتاب الدين والإسلام ١ ص ١٢٩ .

الأفعال بذواتها وأنفسها، مع قطع النظر عن كونها ملائمة للطبع أو منافرة له بتحصيل غرض أو مصلحة أو دفع مضرة ومفسدة أو إعتياد عرفي أو إنقياد ديني يوجبان الألفة أو النفرة ، فالأفعال عندهم بالذات . ومع قطع النظر عن تلك الجهات شرع سواء لا تفاوت فيها حسناً وقبحاً ، وفاعلوها لا يختلفون في الإستحقاق مدحاً ولا قدحاً . فلو أن رجلاً أسدى عظيم الإحسان إلى الإنسان ثم احتاج إليه بأهون شيء فقابله بالرد والهوان ، أو القتل والحرمان ، ولم يكن ذلك الفعل مما يعود إلينا أبداً بمنفعة أو مضرة ، وقطعنا النظر عن حكم الديانة بتقبيحه وتحريمه لم نجد فيه عندهم شناعة ، ولا إستغراباً وبشاعة ، وهذا الحكم عندهم سار في أفعال الخالق والمخلوق جميعاً ، سوى أن أفعال المخلوق قد تصير حسنة أو قبيحة بعد تعلق أحكام الديانات بها إيجاباً أو تحريماً ، بخلاف أفعاله المقدسة ، فإنه لا مجال للعقل فيها بتحسين أو تقبيح أبداً . فلو عذب العبد الذي أفنى عمره بالطاعة والعبادة وخلده في جهنم وأنعم على الشقي الذي أهلك العباد وأفسد البلاد بالقتل والظلم وأدخله الجنة ، لم يكن ذلك منه قبيحاً ولا خلافه حسناً ، بل كل ما يفعله ويأمر به هو

الحسن ، وكل ما يتـركه أو ينهي عنـه فهو القبيـح ، لا أنه يفعل ما هو الحسن لحسن ذاتي يـدعوه إلى فعله ، أو يترك الشيء لقبح ذاتي يوجب تركـه . ومن هنا لـزم مقـالتهم هذه إنكـار كونـه تعالى عـادلاً بـالمعنى الآتي قريباً ، بل صرحـوا بإنكـاره وجواز أن يـدخل النـار من أطاعه ، والجنة من عصاه ، قائلين بأن كل ما يفعله هو العـدل ، كيف ما كـان . وقد خـالفهم في ذلك قـاطبة العقلاء وضرورة العقـول ، وتظاهـر في خلافهم والـرد عليهم من المسلمين طـوائف عرفـوا بـالعـدليـة ، وهم كافة مشايخ العرفاء وسـادة الصوفيـة وأساطين الحكمـة والفـلاسفة الإلهيـة وقاطبـة المعتزلـة وجمهور الإمـامية وسائر السلفية والظاهرية . ونحن نـوضح لـك الحقيقة بـأجلى بيـان ، وذلـك أن لكـل واحــدة من الحـواس الـظاهرة بـالضرورة مـلائمـات ومنـافـرات من الأفعـال الخارجية ، بـل سائـر الموجـودات مما تقـع عليه تلك الحـواس : فكمـا أن السمـع تلذه أصـوات القمــاري والبـلابل بسجعهـا ، وتؤنسه نغمات الأوتار في تنـاسب وقعها ، وتزعجه أصوات الحمير وقعاقع الرعـد المهول وعـواصف الريـح وزجـل الـطبـول ، واللمس تـلائمـه النعومة وتؤلمه الخشونة ، والشم تنعشه روائـح المسك وتكمده العفونة وهكذا الذوق والبصر ، في مدركاتهمـا

من الطعوم والصور ، فكما أن لكل واحدة من هذه الحواس منافراً وملائماً ، ومصالحاً ومصادماً ، فكذا لرئيسها وحاكمها ومسيسها ، الذي به صار الإنسان إنساناً ، وإلا فهو بتلك الأمور وحدها لم يكن إلا حيواناً .

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى الى شرف من الإنسان

فلا محالة له منفرات وملائمات ، بضرورة أن له مدركات ومعقولات وإلا فهو معدوم باطل الذات . وما القول بوجوده حينئذ إلا كالقول بالغول والعنقاء وسائر الخرافات . ضرورة أن لا سبيل لنا للإيمان بوجود شيء من القوى الحساسة إلا بظهور آثارها. إذ كم من واجد لجارحة العين والأذن وهو أعمى أو أصم ، وفاقد لحاسة الشم وهو ذو أنف أشم ، هذا حال النفس وقواها مع أن لها جوارح وأدوات ، وأعواناً وآلات ، ولهذا كانت مجردة في ذاتها ، مادية في فعلها (والنفس في وحدتها كل القوى) فكيف بالعقل وهو المجرد في ذاته وفي فعله[1] .

---

(١) يستدل المؤلف على صحة مذهب العدلية بميول الحواس فالسمع يميل الى الأصوات الحسنة مثلاً بغض النظر عن فائدتها =

المعاد الجسماني(*)

المهم والمعضل في هذا الموضوع هو تصور كيف يعود هذا الجسم العنصري الذي تعتور عليه الأطوار والأدوار المختلفة المتنوعة التي يتنقل فيها من دور الى دور ، لا يدخل في واحد إلا بعد مفارقة ما قبله ، ولا يتشكل إلا بشكل يباينه ما بعده ، ينشأ جنيناً ثم طفلا رضيعاً ثم صبياً وغلاما ، ثم شاباً وكهلا ، ثم شيخاً وهرماً . فبأي صورة من هذه الصور يبعث وأي جسم من هذه الأجسام يعود ؟ ثم كيف يعود وقد تفرق ورجع كل شيء الى أصله غازاً وتراباً ؟ وكل ما فيه من

= بل لذاتها . والعقل الذي هو سيد الحواس وأرقى منها لا بد أن يميز الحسن من القبيح على وجه العموم وهذا الرأي مع صوابه ، لا ينقض رأي الأشاعرة تماماً لأن رأيهم لا يخلو من صحة ، والحقيقة دائماً ذات وجهين (السلب والايجاب) وقد تكون ذات وجوه أحياناً .

(*) عن الفردوس الأعلى ص ١٦٤ .

عناصر لو جمعت كلها وأعيدت فهو خلق جديد وجسد حادث ، غايته أنه مثل الأول لا عين الأول ، مضافاً الى الشبهات الكثيرة ، كاستحالة اعادة المعدوم وشبهة الآكل والمأكول وغير ذلك ، وحيث ان الاعتقاد بالمعاد روحاً وجسماً يعد من اصول الدين الخمسة أو من دعائم الاسلام الثلاث : التوحيد والنبوة والمعاد . ومهما كان فلا مجال للشك بأن المعاد الجسماني على الإجمال من ضروريات دين الاسلام ، وهل الضروري من الدين إلاّ ما يكون التدين بذلك الدين مستلزما للإعتقاد والتدين به ؟ مثلاً وجوب الصلاة من ضروريات دين الإسلام فهل يعقل الإلتزام بدين الإسلام مع عدم الإلتزام بوجوب الصلاة ؟ والتصديق بنبوة النبي عبارة عن التصديق بأن كل ما جاء به حق وهو من الله جل شأنه . وهذا القدر يكفي في الإعتقاد بالمعاد ، ولا حاجة الى اكثر من هذا للخروج من عهدة التكليف الشرعي أو العقل ، ولا يلزم معرفة كيف يعود ومتى يعود وأين يعود ؟ فإن التكليف بمعرفتها تكليف شاق على الخواص ، فكيف على غيرهم فإنه يكاد يكون تكليفاً بما لا يطاق ، والعلم اللازم في أصول الدين لا يقدح فيه الاجمال ، ولا يلزم فيه أن يكون قادراً على البرهنة والاستدلال ، بل

يكفي فيه حصوله من أي سبب كان وعدمه جواز التقليد في أصول الدين يراد منه عدم كفاية الظن ولزوم القطع واليقين لا لزوم إقامة الحجج والبراهين ، والغاية من هذا البيان والغرض الاقصى به انه لا يجب على المكلفين ولا سيما العوام البحث عن كيفية المعاد الجسماني ، بل قد لا يجوز لهم ذلك كسائر قضايا القواعد النظرية والمباحث الحكمية مثل قضية القضاء والقدر والخير والشر والاختيار والجبر وما الى ذلك من المعضلات العويصة ، إذ قد تعلق الشبهة بذهن أحدهم ولا يقدر على التخلص منها ، فيكون من الهالكين كما هلك ابليس اللعين بشبهة « خلقتني من نار وخلقته من طين » . فالأولى بل الاسلم هو الإلتجاء الى العلم الحاصل من النقل من كتاب وسنة واعتبارات يستفاد من مجموعها اليقين بأن المعاد الجسماني مثلاً من أصول الدين ويلتزم به ويقف عند هذا الحد وعلى هذه الجملة والإجمال لا يتجاوزه الى تفاصيل الأحوال . أما الاستدلال عليه كما قد يقال بأنه ممكن عقلاً وقد أخبر به الصادق الأمين ، فيجب تصديقه فهو دليل لا مناعة فيه لدفع الاشكال ، فإن المانع يمنع الصغرى ويدعي انه ممتنع عقلاً ، إما لاستحالة إعادة المعدوم أو لغير ذلك من المحاذير

المعـروفة . وحينئـذٍ فـإذا ورد مـا يدل عليـه بظاهـر الشـرع فـالـلازم تـأويله كي لا يعـارض النقـل دليـل العقل ، كما في سائر الظواهر القرآنية مثل يد الله فـوق أيديهم والرحمن على العرش الى كثير من أمثـالها ممـا هـو ظـاهـر في التجسيـد المستحيـل عقـلاً . اذاً أليس الأسد والأسعد لـلإنسان القنـاعة بـالسنة والقـرآن وترك البحث والتعمق وطلب التفصيل في كل ما هو من هـذا القبيـل ؟ ولعـل هـذا المـراد من الكلمـة المـأثـورة[1] « عليكم بـدين العجـائـز » ، أي إعتقـاد الـطاعنين أو الـطاعنات في السن ، فـإن من نشأ على عقيـدة وشب

---

(١) مـراد شيخنا الامـام دام ظله من كون تلك الكلمـة مأثـورة هـو كونها مأثورة عن بعض السلف لا أنهـا مأثـورة بهذه العبـارة عن أحـد المعصـومين (ع) لأنهـا ليست من المـأثـورات عن النبي (ص) أو أهل بيته (ع) ولم يرْوها أحـد من المحدثين بـطرق أصحـابنا الإمـامية أو بـطرق أهل السنـة في الجوامـعِ الحديثيـة عنهم صلوات الله عليهم كمـا حققنـا ذلـك تفصيـلاً في بعض مجاميعنا . وقال الحافظ أبـو الفضل محمـد بن طاهـر بن أحمد المقدسي في كتابه (تذكرة الموضوعات) ص ٤٠ الـطبعة الثـانية سنـة ١٣٥٤ بمصر (عليكم بـدين العجـائـز ليس لـه أصـل من رواية صحيحة ولا سقيمة إلا لمحمد بن عبد الرحمن البيلمـاني بغيـر هذه العبـارة له نسخـة كان يتهم) . (محمد علي القـاضي الطباطبائي) .

وشاب عليها تكون في أقصى مراتب الرسوخ والقوة ولا تـزيله كـل الشبهـات والتشكيكـات عنهـا ، وان كـانت العقيدة عنده مجردة عن كل دليل بل تلقـاها من الآبـاء والامهات « إنا وجدنا آباءنا على أمـة وإنا على آثـارهم مقتدون »[1] ولعل في الكلمة (العجائز) تلميحاً أيضـاً الى العجـز عن إقامـة الدليـل ، فـإن أهـل الاستـدلال والصنـاعـات العلميـة غـالبـاً أقـرب الى التشكيـك من أولئك البسطاء المتصلبين في عقـائدهم ، غلطاً كـانت في الـواقع أو صـواباً ؛ ولـذلك كـان الأنبياء سـلام الله عليهم يقاسون انواع البلاء واشد العناء في إقناع امتهم بفسـاد عقائـدهم وإقلاعهم عنهـا من عبادة الأصنـام أو غيـرهـا . والبسـاطـة في كـل شيء أقـرب الى البقـاء والـدوام من التركيب والإنضمـام ، والبسـائط أثبت من المركبات لقبـول الأجزاء والانحـلال والتفكك . ولعـل هــذا هــو السبب في جعــل الإعتمـاد في الاعتقـاد بالمعاد ، والجسماني منه خاصة ، على ظواهر الشـرع والأدلـة النقلية دون العقليـة من بعض أكابـر الحكمـاء كالشيخ الرئيس إبن سينا(قده) ، حيث قال في المقالة التـاسعـة من الهيـات الشفـاء (فصــل في المعـاد) ،

---

(١) الزخرف سورة٤٣ . آية٢٣ .

وبـالحري أن نحقق هاهنا أحوال النفس الإنسـانيـة إذا فارقت أبدانها وإنها إلى أي حـالة تعـود فنقول : يجب أن يعلم أنَّ المعـاد منـه مـا هـو مقبـول من الشـرع ولا سبيـل الى إثباتـه إلا من طريق الشـريعة وتصـديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عنـد البعث ، وخيرات البـدن وشروره معلومة ، وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانـا بهـا سيدنـا ونبينا ومـولانا محمـد بن عبد الله صلى الله عليه وآله حـال السعادة والشقـاوة التي بحسب البدن ، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صـدقته النبـوة وهمـا السعـادة والشقـاوة التي لـلأنفس . انتهى محل الحاجة منه .

وعليـه فمن حصل لـه الإعتقاد بـالمعاد من الأدلـة السمعيـة ولم تعـرض لـه فيـه شبهـة تـوجب تشكيكـه لـرسوخ عقيـدتـه وقـوتهـا ، فقـد وفق وأصـاب ، وبلغ النصـاب ، ولا ينبغي بل قـد لا يجوز لـه الخـوض في الأدلـة العقلية والأصـول النظريـة ، ولكن من عـرضتـه الشبهة أو اعتقد بالاستحالة والإمتناع عقلاً ، وأنه لا بد من تـأويل الـظواهر الشـرعية كي لا يتنـافى الشرع مـع العقل ، ويسقط عنده قول المستدل أنه ممكن ، وأخبر به الصادق الأمين لاندفاعه عنده بما أشرنا اليه قـريباً ، فـلا بـد حينئذٍ من رفـع هـذه الـدعـوى أعني دعـوى

الاستحالة والإمتناع ، وإثبات أنه ممكن عقلاً بل واقع ، فاللازم إثبات إمكانه الذاتي وإمكانه الوقوعي إبقاء للأدلة الشرعية على ظواهرها ، وقطع أيدي التأويل عن منيع مقامها .

وحيث أن الحاجة الى النظر في هذه القضية لا بد أن يكون من غير الظواهر النقلية بل من المبادىء العقلية ، فاعلم أولاً أن الأقوال في المعاد أربعة :

(أحدها) إنكاره مطلقاً لا جسماً ولا روحاً ، وهو قول جميع الملاحدة والطبيعيين الذين ينكرون المبدأ ، فكيف المعاد وهما متلازمان في المفاد وبينهما أقوى مراتب الإتحاد . وإثبات المبدأ يكفي في إبطال هذا القول . راجع الجزء الأول من (الدين والإسلام) تجد فيه لاثبات الصانع ما يغنيك عن غيره، بأجلى بيان ، وأقوى برهان .

(ثانيها) إثبات المعاد الروحاني فقط ، نظراً الى ان الأرواح مجردة والمجرد باق ، والجسم مركب من عناصر شتى ، وإذا فارقته الروح ، ودخلت في عالم المفارقات إنحل هذا المركب ولحق كل عنصر بأصله ، وانعدم وتلاشى ذلك المركب ، وانعدمت تلك الصورة ، والمعدوم يستحيل عوده ، والروح

باقية ، وهي التي تعاد للحساب وانجاز عملية الثواب والعقاب ، ولعل الى هذا الرأي المثالي أو الخيالي يشير المعلم الثاني أبو نصر الفارابي (قده) في أرجوزته التي يقول فيها :

أصبح في بلابلي وأمسي
أمسي كيومي وكيومي أمسي
يا حبذا يوم حلول رمسي
مطلع سعدي ومغيب نحسي
من عرضي يبقي بدار الحس
وجوهر يرقى لدار القدس
وكل جنس لاحق لجنس

ويعني بالعرض ، الجسم التعليمي ، ذا الأبعاد الثلاثة ، والكيفيات الخاصة وهو الذي تتفرق بالموت أجزاؤه ، ويلحق كل جزء بأصله من العناصر ، ولم يعلم رأيه أنها تعود أو لا تعود وكيف تعود . وعلى كل فبطلان هذا القول يبتني على منع صيرورة البدن معدوماً بالموت أو بعد الموت كما سيأتي قريباً إن شاء الله .

(ثالثها) القول بالمعاد الجسماني فقط ، وهو

مــذهب جميـع أهــل الـظاهــر من المسلمين وبعض المتكلمين . وهــو لازم كـل من أنكــر وجــود النفس والروح المجردة ، بل أنكر وجـود كل مجـرد سوى الله (فــلا مجـرد إلا الله) أمــا المـلائكــة ، والعقــول ، والنفوس والأرواح ، فكلها أجسام ، غايتـه أنها تختلف من حيث اللطافة والكثافة والعنصرية والمثاليـة . يظهـر هـذا من كلمـات عــدة من العلمـاء ولكني أجلهم عن ذلـك ، وكلماتهم محمـولة على غيـر ما يتراءى منها ، ومغزاها معانٍ أخرى جليلة .

(رابعها) وهو أحقها وأصدقهـا إثبات المعـادين : الجسمـاني والروحـاني . أي معاد هـذا الجسد الـذي كان في الدنيا بروحه وجسمه ، فيعود للنشر يوم الحشر كما كان ، ويقف للدينـونة بين يـدي الملك الديـان . كمـا هو ظـاهـر جميـع مـا ورد في القـرآن الكـريم من الآيات الدالة على رجوع الخـلائق الى الله عز شـأنه ، والـرد على منكـري البعث والمعــاد لمحض العنـاد أو الإستبعـاد ، أو أخذاً بقضيـة استحالـة إعـادة المعـدوم المــرتكـزة في الأذهــان . وقــد رد عليهم الفــرقــان المحمدي بأنحاء من الأساليب البليغة البالغة إلى أقصى مـراتب البلاغـة والقوة ، يعـرفها من يتلو القـرآن بتدبـر وامعـان . وحيث أن غـرضنـا المهم من تحـريـر هـذه

الكلمات هو إثبات الإمكان ودفـع الإستحالـة كي تبقى ظواهر الأدلة على حالها ، لذلك لم نتعرض لسرد تلك الآيـات النيرات ، واتجهنـا الى تلك الـوجهـة ودحض تلك الشبهة بأوضـح بيان واصـح برهـان ، ومنه تعـالى نستمد وعلى فضل فيضه نعتمد ، ونقـول حيث أن من الواضح المعلوم بـل المحسوس لكـل ذي حس ، أن كـل شخص من البشـر مـركب من جـزئين : الجــزء المحسـوس وهو البـدن العنصري الـذي يشـاهـد بعين البـاصرة ويشغـل حيزاً من الفضـاء ، وجزء آخـر يحس بـالبصيـرة ولا تـراه عين الباصـرة ولكن يقطع كـل أحد بوجود شيء في الإنسان بل والحيوان غير هذا البدن ، بـل هو المصـرف والمتصرف في البـدن ، ولولاه لكـان هذا البدن جماداً لا حس فيه ولا حـركة ولا شعـور ولا إرادة . إذاً فيلــزمنـا للوصـول الى الحقيقـة والغـايـة المتوخاة ، البحث عن هذين الجزئين ، فإذا عرفنا هما حق المعرفة فقد عرفنا كل شيء واندفع كـل إشكال ان شاء الله . (واليك البيان) .

يشهد العيان والوجدان وهما فوق كل دليل وبرهان واليهمـا منتهى أكثر الأدلـة أن هـذا البـدن المحسـوس الحي المتحرك بالإرادة لا يـزال يلبس صورة ويخلعهـا وتفاض عليه أخرى ، وهكذا لا تزال تعتور عليه الصور

منـذ كان نـطفة فعلقـة فعظامـاً فجنيناً فمـولوداً فـرضيعاً فغلاماً فشاباً فكهلاً فشيخاً فميتاً فتراباً ، تكونت النـطفة من تـراب ثم عادت الى التـراب فهـو لا يـزال بعـد أن أنشأه باريـه من امشاج ليبتليـه فجعله سميعاً بصيـراً إما شاكراً أو كفوراً في خلع ولبس ﴿ **أفعيينا بـالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد** ﴾[1] يخلع صورة ويلبس أخـرى وينتقل من حـال الى حال ومن شكـل الى آخر مريضاً تارة وصحيحاً وهزيلاً وسمينـاً وأبيضاً وأسمـراً ، وهكذا تعتوره الحـالات المختلفة والأطـوار المتباينـة ، وفي كل ذلك هو هو لم تتغيـر ذاته وان تبـدلت أحوالـه وصفاته ، فهو يوم كان رضيعاً هو يوم صار شيخاً هـرماً لم تتبدل هويتـه ولم تتغير شخصيتـه ، بل هنـاك أصل محفـوظ يحمـل كـل تلك الأطـوار والصـور ، وليس عـروضها عليـه وزوالها عنـه من باب الإنقـلاب ، فإن انقلاب الحقائق مستحيـل ، فصورة المنـوية لم تنقلب دموية أو علقية ولكن زالت صورة المني وتبدلت بصورة الـدم ، وهكذا فـالصورة متعـاقبـة متبـادلـة لا متعـاقبـة منقلبة ، (إذ صورة لصورة لا تنقلب) . وهذه الصـورة كلها متعاقبة في الزمان لضيق وعائـه مجتمعة في وعـاء الدهر لسعته ، والمتفرقات في وعاء الـزمان مجتمعـات

---

(١) ق سورة٥٠ . آية١٥ .

في وعاء الدهر ، ولا بد من محل حامل وقابل لتلك الصور المتعاقبة ما شئت فسمه مادة أو هيولي أو الأجزاء الأصلية كما في الخبر الآتي إن شاء الله ، وكما أن المادة ثابتة لا تزول فكذلك الصور كلها ثابتة في محلها في كتاب ، لا يضل ربي ولا ينسى ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وقد عرفت في ما مرَّ عليك من المباحث أن الشيء لا يقبل ضده ، والموجود لا يصير معدوماً ، والمعدوم لا يصير موجوداً ،.وانقلاب الحقائق مستحيل .

ثم أن هذا البدن المحسوس العنصري لا ريب في انه يتحصل من الغذاء وأن أجزاءه تتحلل وتتبدل ، فهذا الهيكل الجسماني بقوة الحرارة الغريزية التي فيه ، المحركة للقوى الحيوانية العاملة في بنائه وحفظه وتخريبه وتجديده ، كالجاذبة والهاضمة والدافعة والماسكة وغيرها ، لا يزال في هدم وبناء وإتلاف وتعويض ، كما قال شاعرنا الحكيم في بيته المشهور :

(والمتلف الشيء ضامنه)
وقاعدة (المتلف ضامن)

وفي بيان أوضح أن علماء (الفزيولوجيا) علم أعضاء الحيوان ، قد ثبت عندهم تحقيقاً أن كل حركة

تصـــدر من الإنسـان بـــل ومن الحيـوان يلزمهـــا يعني تستوجب احتراق جزء من المـادة العضليـة والخـلايـا الجسمية ، وكل فعـل إرادي أو عمل فكـري لا بد وأن يحصـل منـه فنـاء في الأعصـاب وإتـلاف من خـلايـا الـدماغ ، بحيث لا يمكن لـذرة واحـدة من المـادة أن تصلح مـرتين للحيـاة . ومهمـا يبـدو من الإنسـان بـل مـطلق الحيوان عمـل عضلي أو فكري ، فـالجـزء من المادة الحية التي صـرفت لصدور هـذا العمل تتـلاشى تمامـاً ثم تأتي مادة جـديدة تـأخذ محـل التالفـة وتقوم مقامها في صدور ذلك العمل مرة ثـانية ، وحفظ ذلـك الهيكل من الإنهيار والدمار ، وهكـذا كلما ذهب جـزء خلفـه آخر خلع ولبس كمـا قـال عـز شـأنـه ﴿ **أفعيينـا بـالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جـديد** ﴾[1] . ويكون قدر هذا الإتلاف بمقدار قوة الظهورات الحيوية والأعمال البدنيـة ، فكلما اشتـد ظهور الحيـاة وتكثرت مزاولة الأعمـال الخارجيـة إزداد تلف المادة وتعـويضها وتجـديدهـا . ومن هنا تجـد أرباب الأعمـال اليـدويـة كـالبنائين والفـلاحين وأضرابهم أقـوى أجسامـاً وأعظم أبـداناً بخـلاف ذوي الأعمـال الفكـريـة الـــذين تقـل

---

(١) ق سورة ٥٠ . آية ١٥ .

حركاتهم وتسكن عضلاتهم ، ثم أن هذا التلف الـدائم لا يـزال يعتوره التعـويض المتصل من المـادة الحديثـة الداخلة في الدم المتكونة من ثـلاث دعائم هي دعـائم الحياة وأسسها الجوهـرية : الهواء والماء والغذاء ، ولو فقد الإنسان واحداً منها ولو بمدة قصيـرة هلك وفقدت حياته .

وهذا العمل التجديدي عمل باطني سري لا يظهر في الخـارج إلا بعد دقـة في الفكر وتعمق في النـظر ، ولكن عوامل الإتلاف ظاهـرة للعيان ، يقـال عنها أنهـا ظواهر الحياة وما هي في الحقيقة إلا عوامـل الموت ، لأنها لا تتم إلا بإتلاف أجزاء من انسجتنا البدنية وأليافنا العضـوية ، فنحن في كـل ساعـة نمـوت ونحيـا ونقبـر وننشـر ، حتى تـأتينـا المـوتـة الكبـرى ونحيـا الحيـاة الأخرى .

إذاً فنحن بناء على ما ذكر ، في وسط تنازع هذين العاملين عامل الأتلاف وعامل التعويض ، يفنى جسمنا ويتجدد في مدار الحياة عدة مرات ، بمعنى أن جسمنا الذي نعيش به من بدء ولادتنا الى منتهى أجلنا في هذه الحيـاة تفنى جميع أجـزائه في كـل برهـة ، وتتحصـل أجزاء يتقوم بها هذا الهيكل ، ليس فيها جزء السابقة ،

ولا يمكن تقدير هـذه البرهـة على التحقيق ، يعني أي مقـدار به تتـلاشى تلك الأجزاء جميعـاً وتتجدد غيـرها بمـوضعهـا . نعم لا نعلم ذلـك ولكـن ينسب الـى الفيزلوجي (مـوليشت) أن مدة بقـائها ثـلاثين يومـاً ثم تفنى جميعـاً . ونقـل عن (فلورنس) أن المـدة سبـع سنين ، وقد أجرى العلماء المحققون في هـذه الأعصر الامتحـانات الـدقيقـة في بعض الحيـوانـات كـالأرانب وغيـرهـا ، فـأثبت لهم البحث والتشـريـح تجـدد كـل انسجتهـا بل وحتى عـظامهـا ذرة ذرة في مـدة معينـة . فكيف يتفق هذا مع ما يرتئيه المـاديون ومنكـرو النفس المجردة في زعمهم أن الذاكرة قوة تنشـأ من اهتزازات فوسفوريـة تخزن في الخليـة العصبية من الـدماغ عنـد وصـول التأثيرات الخـارجية اليهـا ؟ نعم كيف يجتمع هـذا مع مـا تقرر في الفن وشهـد به الإختبـار والاعتبار من أن كـل مـا فينـا من الأنسجـة والعـظام والخـلايـا العصبيـة تتـلاشى ثم تتجـدد بمـدة معلومـة أقصى مـا تتجدد به سبع سنوات ، ولو كانت قـوة التذكـر والتفكر مادية وقائمة في خلايا الدماغ ، لكان اللازم أن نضـطر في كل سبع سنين الى تجـديد كـل ما علمنـاه وتعلمناه سابقاً ، والحالة الراهنة المعلومة بالضـرورة والوجـدان عندنا أنّ سيال المادة المتجـدد والمجدد لمـا ينـدثـر منا

على الإتصال لم يحدث أدنى تغيير في ذاكرتنا ، ولم يطمس أي شعلة من علومنا ومعارفنا ، ولعمري أن هذا لأقوى دليل على وجود قوة فينا مدركة شاعرة مجردة عن المادة باقية بذاتها مستقلة في وجودها بقيومية مبدئها ، محتاجة الى آلاتها المادية في تصرفها ، متّحدة معها في أدنى مراتبها . ودثور المادة لا يستوجب دثورها ولا دثور شيء من كمالاتها وملكاتها ، ولا من مدركاتها ولا من معلوماتها ، كيف لا ؟ ولا تزال تخطر على بالنا في وقت الهرم أمور وقعت لنا أيام الشباب بل أيام الصبا وما قبله ، وكيف كان فإن من الوضوح بمكان أن كل ما فينا يؤيّد اثبات شخصيتنا وعدم تغيرها مع تغير وتبدل جميع ذرات أجسادنا .

النبوة

عرفت أن العناية المقدسة لطفت بالبشر فأنزلت كتباً تتكفل بتعريف صوالحهم ، وضارهم ونافعهم . منشورة تلك الكتب على أيدي رسل منه وهم من جنس البشر ، ليألف البشر اليهم ويقتدون بهم ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾[1] . وأُولئك الرسل من أول الدهر الى اليوم لم يحصهم عدد ضابط على التحقيق ، لكن المذكور منهم في القرآن الكريم بصريح اسمه خمسة وعشرون :

آدم . نوح . ادريس . إبراهيم . إسماعيل . إسحاق . يعقوب . يوسف . موسى . هرون . داود . سليمان . صالح . هود . ذو الكفل . لوط .

---

(١) الجمعة سورة٦٢ . آية٢ .

شعيب . أيـوب . الياس . يـونس . زكـريـا . يحي . اليسـع . عيسى . مخمد صلوات الله عليـه وعلى آلـه وعليهم جميعاً .

واولو العزم منهم خمسة أي الذين عمت شرائعهم كل البشر برهة من الزمن .

وهم : نوح . إبراهيم . موسى . عيسى . محمد (ص) .

والكتب السماوية أيضـاً كثيرة والمـذكور منهـا في القــرآن المجيـد خمســة .صحف إبــراهيم . تــوراة موسى . زبور داود . انجيـل عيسى . فرقـان محمـد (صلى الله عليه وآله) .

صفة الأنبياء

النبي اعم من الـرسـول فكـل رسـول نـبي ولا عكس ، لأن الرسول صاحب شريعة وأحكام جـديدة ، والنبي يجوز أن يكون داعياً لإتباع شريعة من قبله .

والأنبيـاء بشـر لهم منصب السفـارة بين الله وبين عباده ، معصومون بالإختيار عن الكذب ، فهم يقدرون على الكذب ولكن لا يكذبـون ، كما أنهم معصـومون عن مخـالفة أحكـام شـريعتهم وعن كـل مـا يستقبحـهَ العقل ، فلا يجوز عليهم الكذب ولا الخيانة ولا الظلم ولا الحرص على الدنيا ولا الطمع ، وهكذا كل ما هـو من هـذا القبيل ، والقـول الجـامـع أنـه يلزم في النبي والإمام أن يكون متحليـاً بكل فضيلة ، متخليـاً عن كل رذيلة .

ومن هذه الدروس يقدر التلميذ أن يجيب عن هذه الأسئلة. ما حقيقة الإيمان بالله ومـلائكته وكتبـه ورسله واليـوم الآخـر ؟ مـا معنى النبي ومـا الفـرق بينـه وبين الرسول ؟

كم عـدد الأنبياء المـذكـورين في القـرآن والكتب المذكورة فيه ؟

ما الذي يلزم في النبي والإمام وما الـذي لا يجوز عليهما ؟

ويحسن تعقيب هذه الدروس بالكلام في مختصـر من ترجمة كل واحد من مشاهير الأنبيـاء والأئمة سـلام الله عليهم .

آدم

(آدم) أبـو البشر ، أول إنسـان مشى على سطح هـذه الكرة ، وانتشـرت ذراريـه عليهـا . اتفقت أديـان البشر كلها ، ونصت الكتب السمـاوية بـأجمعها أن الله سبحـانـه خلق آدم من تــراب (أي من هــذه الأرض وعناصرها) خلقاً فجـائياً من غيـر تناسـل . ثم بعد أن نفخ فيه من روحه (أي روح العلم والحياة) ، اسجـد له ملائكته سجود إكرام واعظام لا سجود عبادة ، فكان محراباً أو قبلة للملائكة .

ثم خلق من فاضل طينته على الصحيح من أخبـار أهل البيت (عليه السلام) زوجه حواء أم البشر ، واليه الإشـارة بقولـه تعالى ﴿ وخلق منهـا زوجهـا ﴾[1] وفي

---

(١) النساء سورة٤ . آية١ .

بعض الأخبار انها خلقت من أحد أضلاعه ، (ولعله كناية عن حنو كل من الزوجين على الآخر وأنه ينبغي بل يجب أن يعطف كل منهما على صاحبه انعطاف الأضلاع على ما تحتويه) .

والمتيقن من الوحي أن الله سبحانه أسكنه جنة من جنانه العالية . وتنفيذاً لسابق علمه تعالى في أن تعمر الأرض به وبذريته ، أهبطه بعد المحنة والإبتلاء الى الأرض ، فهبط على بعض جبال الهند وأهبط زوجته في مكان آخر ـ ثم تلاقيا وعرف كل منهما الآخر على جبل عرفات . ثم ولد لآدم عدة أولاد أولهم هابيل الذي قتله أخوه قابيل ، ثم ندم على ما فعله كما قص الله تعالى قصتهما في سورة الاعراف .

وأجلُّ اولاد آدم وأكرمهم على الله (شيث) ومعناه هبة الله ، وهو من كبار الأنبياء ووصي آدم ، ومن ولده وبنات أخيه يافث تناسل البشر . وأقرب الأقوال في عمر آدم أنه عاش من بدء نفخ الروح فيه الى أن مات ما يناهز الألف سنة ، وقيل إنه دفن بغار في جبل أبي قبيس بمكة . وماتت حواء بعده بسنة ودفنت إلى جنبه . وفي بعض أخبار أهل البيت (عليهم السلام) أن نوحاً نقل عظامه قبل الطوفان الى النجف .

نوح

نوح (صفي الله) ابن لمك ينتهي نسبه الى شيث بسبعة آباء ، ولد بعد أن مضى الف وستمائة واثنتان وأربعون سنة من هبوط آدم . وبعث بالنبوة وهو ابن أربعمائة وستين سنة . فدعا قومه وكانوا يعبدون الأوثان الى عبادة الحق وكانوا يهزأون به وربما كانوا يخنقونه حتى يغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

وما أتى قرن إلا كان اخبث مما قبله . فلما يئس منهم دعا عليهم فأوحي إليه أنْ يصنع السفينة من خشب الساج ، فصاروا يسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ، ولما مضى على قيامه بالدعوة مائة وأربعون سنة وتم صنع السفينة ، حمل فيها أولاده الثلاثة سام . وحام . ويافث ونساءهم ، وتخلف ابنه يام فكان من المغرقين . وحمل من كل نوع من الدواب زوجين . وارتفع الماء على أعلى الجبال خمسة عشر ذراعاً وجرت السفينة فيه ، وكان بين فيضه وغيضه سنة وقيل ستة أشهر . ولما غاض الماء استقرت السفينة على الجودي (جبل بالموصل) . وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمئة وخمسين سنة . وتوفي وهو ابن ألف سنة إلا خمسين

عاماً . واتفق المؤرخون ان التناسل بعد شيث صار من أولاد نوح ، فجميع من على الأرض من البشر ينتهون اليهم : وكان الطوفان بعد ٢٢٤٢ سنة من هبوط آدم ، على أقوى الأقوال .

إبراهيم (عليه السلام)

(خليل الله ابراهيم) بن تارخ وآزر عمه تكفل بتربيته بعد موت ابيه فدعي أباً له ، وكان آزر يصنع الأصنام ويدفعها لإبراهيم ليبيعها ، فكان إبراهيم ينادي عليها وهو صغير (من يشتري ما يضره ولا ينفعه) .

ولد ابراهيم ببابل من أرض العراق وملكها نمرود ابن كوش ، فلما فشا أمر إبراهيم في تفنيد قومه في في عبادة الأصنام أخذه ذلك الجبار ورماه في نار انجاه الله منها ، فآمن به جمع من قومه وآمنت به ساره بنت عمه وبنت خالته فتزوجها ، وكانت ذات حظ من المال والجمال . ثم ان إبراهيم ومن آمن معه هاجروا الى حران ثم الى مصر ثم الى الشام وأقام ببن الرملة وايليا . وكانت سارة لا تلد فوهبت له جاريتها هاجر فولدت اسماعيل ، وعمر إبراهيم يومئذٍ ثمانون سنة ، فحزنت سارة فوهب الله لها إسحاق وهي بنت تسعين سنة . وهاجر إبراهيم بهاجر وولدها اسماعيل

الى مكـة فأسكنهم بهـا وفيهـا يـومئـذٍ قبيلة من العـرب الأولين تسمى جرهم ، فتعرب إسماعيل فسمي العرب من نسله بـالعرب المستعـربة واليـه يرجـع أكثر قبـائـل العرب من الجاهلية الى اليوم ، وكان البيت الحرام قد تهدم بعد الـطوفان ، فـأمر الله إبـراهيم فبناه هـو وولده اسماعيل . وعـاش إبراهيم مـائة وخمسـاً وسبعين سنة بعد موت زوجتيه سارة وهاجر . وخلفه ولداه إسمـاعيل وله اثنا عشر ولداً هم أصول قبائـل العرب . وإسحـاق ولـده يعقوب ومنـه الاسباط الاثنـا عشر واليهم تـرجـع طوائف بني إسرائيل . وكانت ولادة إبـراهيم بعد مضي الف وثمانين سنة من الطوفان .

وإسرائيل الذي تنتسب اليه عامة بني إسـرائيل هـو يعقوب بن إسحاق أبو الأسباط الاثني عشر .

موسى (عليه السلام)

(مـوسى كليم الله) ابن عمـران بن قـاهـاث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

ولاوي أحد الاسباط الاثني عشـر ، وشعب لاوي شعب كبير في بني إسرائيل ، وكانوامستـعبدين لفراعنة مصر بعد أن دخلوها أيام يوسف بن يعقوب ، وبقوا في اسـر الإستـعبـاد من بعـده الى أن حـررهم مـوسى ،

وكانت مدة استعبادهم ما يناهز مائتي سنة . ولد موسى في مصر لمضي ٢٥٠ سنة من وفاة إبراهيم . وكان فرعون مصر أمر بقتل كل مولود من الاسباط ، فخافت أمه فجعلته في تابوت والقته في اليم فالتقطته آسيا امرأة فرعون وربته ، ولما كبر وجد يوماً قبطياً يخاصم إسرائيلياً فقتل القبطي دفاعاً عن الإسرائيلي . واشتهر ذلك فخاف وهرب قاصداً مدين ، فاتصل بكبيرها شعيب وهو من الأنبياء على شريعة إبراهيم فتزوج بنته صفورا ، وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنوات ، ثم سار بأهله قاصداً مصر فرأى في بعض الطريق ناراً ، فلما دنا منها رأى نوراً ممتداً الى السماء من شجرة عوسج فخاف فشد الله قلبه ، وسمع الوحي بالنبوة . ثم دخل مصر واجتمع بأخيه هارون وقال له إن الله أرسلنا الى فرعون ، فانطلقا اليه وطلبا منه إطلاق بني إسرائيل على أن يخرجا بهم من مصر ، فامتنع فأراه الآيات الباهرة من اليد البيضاء والعصا وغيرهما ، وبعد العجز عن المقاومة بالحجة والبرهان أذن لبني إسرائيل بالسير مع موسى ، فلما ساروا ندم فرعون فلحقهم بعسكره واقتحم البحر فغرقوا .

وقصد موسى ان يهاجر بمن معه من بني إسرائيل وكانوا سبعين الفا أو أكثر ـ مدينة اريحا وهي بلد العمالقة ، فامتنع بنو إسرائيل وقالوا يا موسى ان فيها

قـوماً جبـارين وإنا لن نـدخلها مـا داموا فيهـا ، فاذهب أنت وربك فقاتـلا إنا ههنـا قاعـدون . فضلوا في التيه أربعين سنة ، وهناك مات هارون وهـو أكبر من مـوسى بثلاث سنين ، ثم مات بعده بقليل مـوسى وعمره ١٢٠ سنة، وقام بعده بالنبوة وتدبير بني إسرائيل وصيه يوشع بن نـون وينتهى نسبه الى افـرايم بن يوسف بن يعقـوب ، وهو الذي حاصر اريحا ببني إسرائيـل وفتحها بـالسيف واخراجهم من التيه بعد الأربعين سنة ، وبه اتسع ملك بني إسـرائيـل وصـاروا بعـده مستقلين يحكمهم ملوك منهم الى أن مـزقهم بختنصـروابـادهم قتـلاً وتشـريـداً وأحرق جميع نسخ التوراة . وكانت مدة ملكهم الى أن استولى عليهم (بختنصر الملك البابلي) الف سنة .

عيسى (عليه السلام)

(عيسى روح الله) . أمـه مريم بنت عمـران بن ماتان، ينتهي نسبـه الى رحبعم بن سليمان بن داود وأم مـريم حنـة أخت اليصـابـات زوجـة زكـريـا أم يحيى المعروف عند النصـارى يوحنـا المعمدان، فهـو ومريم أولاد خـالة. ولمـا ولـدت مـريم تكفلهـا زوج خـالتهـا زكريا، ولمـا كبرت أولـدت بمشيئة الله عيسى من غيـر أب في قـريـة قـرب بيت المقـدس تسمى (بيت لحم) وكـانت خالتهـا ولدت يحيى قبله بستـة أشهـر. وانكـر قـومها ولادتهـا من غير فحـل، واتهموا بـه زكريـا تـارة

فقتلوه ، ويوسف النجار أخرى فشردوه وهو ابن عمها يعقوب ابن ماتان وكان نجاراً وحكيماً فسار بها وبولدها الى مصر وأقاموا هناك اثنتي عشرة سنة ، ثم عادوا الى الشام فنزلوا الناصرة وبها سميت النصارى ولمّا بلغ ثلاثين سنة بعثه الله رسولاً الى الناس لتكميل شريعة موسى ، وكانت ولادة عيسى في الثالثة والأربعين من ملك اغسطوس الروماني . وبعد أن عمده يحي بن زكريا في نهر الاردن مات يحي ، ولذا سمي بالمعمدان . وظهرت لعيسى المعجزات الباهرة فأحيا ميتاً إسمه عازر ، وأبرأ الاكمة والابرص ، وانزلت عليه المائدة ، ولكن يهود عصره لم يحسبوه إلا دجالاً فعزموا على قتله بأمر فيلاطوس ، ولقبه هرودوس الحاكم من قبل الملك (طيباريوس) الذي ملك بعد اغسطوس ، وكانت فلسطين وما يليها يومئذٍ مستعمرة للدولة الرومانية ، وكان الحواريون الملازمون له اثني عشر ، أشهرهم شمعون الصفا وهو بطرس وأرباب الأناجيل الأربعة (مرقس) و (يوحنا) و (لوقا) و (متى) . وعند المسلمين حسبما نطق به القرآن الشريف أن الله سبحانه رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على الحواري الذي دل اليهود عليه وأغراهم بصلبه ، فقبضوا عليه بزعم أنه عيسى وربطوه بحبل وقادوه

والبسوه اكليل الشوك وشهروه في البلد ، ثم صلبوه على الخشب واستوهب يوسف النجار جسده من الحاكم ودفنه . وعند النصارى أن جميع تلك الأهوال جرت على ذات المسيح . وأنه قام من قبره بعد ثلاثة أيام وصعد الى السماء . وعاشت مريم بعده ست سنوات ، وعاش عيسى في الأرض ثلاثاً وثلاثين سنة ونبوته منها ثلاث سنوات . وكان بين مولد المسيح الذي عليه بناء التاريخ المسيحي الى اليوم وبين وفاة موسى الف وسبعمائة سنة تقريباً وبينها وبين الطوفان ٣٣٤٠ وبينها وبين الهجرة التي عليها بناء التاريخ الإسلامي ٦٢٢ .

محمد (صلى الله عليه وآله)

(محمد حبيب الله) أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن مرة بن كعب بن غالب بن فهر بن مالك . ومن فهر تفرعت بطون قريش ، وكل من انتسب اليه فهو قرشي ، وسمي بذلك لأنه جمع أشتات بني فهر حول الحرم فسمي قريشاً أي جامعاً وينتهي عمود نسبه الى عدنان ثم الى اسماعيل .

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن

قائلين له أنك كنت تحيي الموتى أفلا تخلص نفسك ؟

كلاب الجد الخامس للنبي (صلى الله عليه وآله) ، ولد عند أكثر المسلمين يوم الثاني عشر من ربيع الأول وعند أكثر الشيعة يوم السابع عشر منه عام الفيل بمكة في شعب ابي طالب . ومات أبوه عبد الله وهو حمل ، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين أو ست ، وكفله جده عبد المطلب ، وتوفي جده وهو ابن ثمان فكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه عبد الله لأمه وأبيه .

ولما بلغ من العمر ثلاثة عشرة سنة أخرجه أبو طالب معه في تجارة الى الشام ، فلما كان في بعض الطريق رأى بحيراء الراهب غمامة تظلل النبي[1] فقال لأبي طالب أرجع بهذا الغلام واحتفظ عليه فسيكون له شأن عظيم .

وكانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب ذات شرف في قريش ولها أموال وتجارة ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد عرف بالصدق والأمانة حتى صار يسمى محمداً الأمين ، فعرضت على النبي أن يخرج ببضاعة لها الى الشام

---

(١) ذكر ذلك أكثر المؤرخين منهم أكبر مؤرخ من النصارى أبو الفرج العبري في كتابه (مختصر الدول) المطبوع في بيروت في مطبعة الآباء (اليسوعيين) .

فسافر السفرة الثانية اليها ، وأرسلت معه غلاماً لها يسمى ميسرة ، فربح النبي ورجع الى مكة ، وصار ميسرة يحدث خديجة بما شاهد من كرامات النبي (صلى الله عليه وآله) فرغبت به لما توسمت فيه من الشأن الباذخ ، فكانت أول امرأة تزوجها وهي أول من أسلم من النساء وبقيت معه بعد البعثة عشر سنوات وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين . ثم تزوج بعدها بعشر أو إحدى عشرة امرأة وما اقترن بواحدة منهن إلا لمصلحة سياسية تعود الى نشر الدعوة وتعزيز جانب الإسلام الى مصالح أخرى يضيق المقام عن عدها .

بعثة النبي

ولما بلغ الأربعين من العمر نزل عليه الوحي في الليلة السابعة والعشرين من رجب على الأرجح . وأمره الله سبحانه بدعوة الناس عامة وقريش خاصة الى توحيد الله عز شأنه وخلع عبادة الأوثان ، فقاومته قريش أشد المقاومة . واضطهدته ومن آمن به أسوأ الاضطهاد ، وكان المحامي عنه والناصر له خديجة بالأموال وأبو طالب وأولاده بالمنعة والرجال ، فلما مضى لبعثته عشر سنوات مات أبو طالب وخديجة في عام واحد يسمى عام الأحزان . ولما لم يبق بمكة من

يقدر على كف عادية قريش عنه هاجر الى المدينـة بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة ، وكان قد بايعه سبعون نفراً من وجـوه الأوس والخـزرج بمكـة سـراً وهي بيعـة العقبة ، وهاجر بعده كل من آمن به تدريجاًفصار حزبه بالمدينة قسمين : المهاجرين والأنصار .

فجـدت واجتهـدت قـريش في تعـويق مسـاعيـه وإشغـاله عن نشـر دعوتـه ، فـاضـطر الى دفـاعهم عن حوزته فوقعت المحاربة المشهورة معهم في بدر ونصره الله عليهم وهم أقـوى عدة وأكثـر عـدداً ، فقتـل وأسـر وغنم ومـا نجا منهم إلا القليـل ، وكان أصحـاب النبي ٣١٣ وليس معهم غيـر فرسين ، وكـانت قـريش زهـاء الف وفيهم مـائة فـرس ، وذلك في ١٧ شهـر رمضـان السنة الثانية من الهجرة ، ثم تـابعت الغزوات والفتـوح تترى ، والله سبحانـه يزيـد الإسلام بهـا عزاً ونصـراً ، الى أن تمّ لـه النصر واستقـام الأمر بفتـح مكة استـأمنه أهلها فآمنهم ودخلها صلحاً .

ولما تم له هذا الفتح المبين بعث الـدعاة والكتب الى الملوك يدعوهم الى الإسلام ، ولـم يحارب إلا من بدأه بالحـرب أو نقض عهده ، أو أعـان عليه عـدوه أو قتل رسوله .

وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)

وكانت آخر غزواته غـزوة تبوك في السنـة التاسعـة من الهجرة ، حارب بها جيش الروم في حدود الشام ، وكـان جيش المسلمين في هـذه الغـزوة ثـلاثين الفـاً والخيـل عشرة آلاف ، وهـذا بالاضـافة الى غـزوة بدر رقي مدهش لم يعهد في التـاريخ مثله ولعله من آيـات النبوة . وانتهى الأمر في هـذه الغزوة إلى الصلح ودفـع الجزية . ولمـا كانت السنـة العاشـرة من الهجرة صـار النـاس يدخلون في دين الله أفـواجاً ، ونفـذت الدعـوة الى أقـاصي اليمن وتخـوم مصـر والعـراق والشـام والبحرين، وأسلم عامة أهل اليمن وملوك حمير. وحج النبي صلى الله عليـه وآله في هـذه السنة حجـة الوداع ونعيت اليه نفسه بنزول سورة النصر وآية (**اليوم أكملت لكم دينكم واتمـمت عـليكـم نعـمتـي ورضيـت لكـم الإسـلام ديـنـا** ﴾[1] ودخـلت الـسـنـة الـحـاديـة عشـرة ، وفي شهر صفـر منها مـرض النبي (صلى الله عليـه وآله) وأجـاب داعي ربه عنـد أكثر المؤرخين في الثاني عشر من ربيع الأول الموافق ليـوم ولادته ، وفي أخبـار أهل البيت (عليهم السـلام) الثامن والعشـرين

---

(١) المائدة سورة٥ . آية٣ .

من شهر صفر ، ودفن تحت فراشه الذي توفي عليه وعمره على الأصح ثلاث وستون سنة وأشهر . وولد له من خديجة القاسم وبه يكنى ، والطيب والطاهر وعبد الله ماتوا صغاراً . وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ولم يبق بعده إلا هي ، ومنها نسله المبارك ، وكانت اعز خلق الله عليه . وولد له من غير خديجة ـ إبراهيم من مارية القبطية ومات ابن سنتين تقريباً . واختلف في عدد غزوات النبي (صلى الله عليه وآله) بين قائل ١٩ وقائل ٢٧ والمشهور منها الذي وقع فيها القتال تسع : بدر . وأحد . والخندق . وقريظة . والمصطلق . وخيبر . والفتح . وحنين . والطايف . وأما البعوث والسرايا التي لم يحضرها بنفسه فقيل خمس وثلاثون وقيل ثمان وأربعون .

الأئمة الاثنا عشر (عليهم السلام)

عرفت أن من متمات الإيمان الاعتقاد بإمامة الأئمة الاثني عشر وعصمتهم من الجرائم صغيرة أو كبيرة فأولهم :

(١) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه

أبوه ابو طالب كافل رسول الله ومربيه وأخو أبيه عبد الله لأمه وأبيه وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، فهو هاشمي من هاشميين ولد يوم الجمعة ١٣ رجب في الكعبة بعد مولد رسول الله بثلاثين سنة ، وقبض شهيداً بسيف ابن ملجم في مسجد الكوفة ليلة ٢١ من شهر رمضان ، ودفن في النجف سنة ٤٠هـ وعمره عمر رسول الله ثلاث وستون سنة .

(٢) ولده الحسن الزكي

أمه سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد (صلّى الله عليها وسلّم) ولد بالمدينة نصف رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وقيل ثلاث وقضى مسموماً فيها سابع صفر سنة خمسين وعمره سبع وأربعون سنة ودفن بالبقيع .

(٣) اخوه الحسين الشهيد

ولـد بالمـدينة ٣ شعبـان سنة ثـلاث من الهجـرة وقضى شهيـداً في كربـلاء عاشـر محرم سنـة ٦١ وفيها قبره الشريف وعمره ٥٨ سنة .

(٤) ولـده زين العابـدين علي بن الحسين .ولد بالمدينة سنة ٣٨ وقضى فيها يوم السبت أواخـــر محرم سنـة ٩٥ وعمره ٥٧ سنـة وامه شـاه زنان بنت يـزدجرد آخر ملوك الأكاسرة .

(٥) ولده محمد الباقر .

ولـد بالمـدينة ٣ صفـر سنة ٥٧ وقضى فيهـا يوم ٧ ذي الحجة سنة ١١٤ وأمـه فاطمـة أم عبد الله بنت الحسن السبط ، فهو علوي من علويين وعمره ٥٧ سنة .

(٦) ولده جعفر الصادق .

ولد بالمدينة ١٧ ربيع الأول سنة ٨٣ وقضى فيهـا في شوال سنة ١٤٨ وعمره ٦٥ وأمه ام فروة بنت الفقيه القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وقبره وقبـر أبيه وجـده مع عمهم الحسن في البقيع في بقعة واحدة .

(٧) ولده موسى الكاظم .

ولد بالأبـواء موضـع بين مكة والمـدينة سنـة ١٢٨ وقضى مسموماً ببغداد في حبس السندي بن شاهك في ٢٥ رجب سنة ١٨١ ودفن في مقابر قريش وأمه حميدة

أم ولد .

(٨) ولده علي بن موسى الرضا .

ولـد بالمـدينة سنـة ١٤٨ وقضى مسموماً بـطوس وفيها قبره في أواخـر صفر سنـة ٢٠٣ وأمه أم البنين أم ولد .

(٩) ولده محمد الجواد .

ولـد بالمـدينة في شهـر رمضان سنـة ١٩٥ وقبض ببغـداد أواخـر ذي القعـدة سنـة ٢٢٠ ودفن مـع جـده الكاظم في مقابر قريش وامه الخيزران أم ولد .

(١٠) ولده علي الهادي .

ولد بالمـدينة نصف ذي الحجـة سنة ٢١٢ وقبض بســر من رأى ٣ رجب ودفن فيهـا في داره سنـــة ٢٥٤ وامه سمانة ام ولد وعمره ٤٢ سنة .

(١١) ولده الحسن العسكري .

ولد بالمدينة في شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٢ وقبض بسـر من رأى ٨ شهر ربيـع الاول سنـة ٢٦٠ ودفن مـع أبيه وأمه حديثة أم ولد .

(١٢) ولده الإمام المنتظر محمد المهدي .

ولد بسر من رأى نصف شعبـان سنة ٢٥٦ (نـور) وأمه نرجس احدى بنات ملوك الروم عجل الله فرجه .

الباب الثاني

في الفروع

تمهيد

أهمّ التكاليف الدينية - الصلاة ، فإنّها عمود الدين ، بمعنى أن الدين يتوقف عليها توقف الخيمة على العمود ، ولذا ورد في الاخبار الصحيحة أنه ليس بين المسلم وبين أن يكفر إلا أن يترك الصلاة . وإن تركها تهاوناً بها على حد الكفر بالله .

ومن بعض فوائدها في العاجلة - انها تنهي عن الفحشاء والمنكر . وسر ذلك انها تذكر الله تعالى وعظمته وتبعث في القلب خوفه وخشيته ، وتوضح للإنسان ضعفه وخسته ، وإذا خضعت النفس وتطمأنت نزلت عليها السكينة ، واستولت عليها الطمأنينة ، وتطهرت من لوث الرذائل فلا عجب ولا كبر ولا حرص ولا حسد ولا شيء من أمثالها ، إذ منشأ كل تلك الذمائم التي هي مثار الشرور في العالم ، وتكالب بني آدم ، إنما هو نخوة النفس وطيشها وغفلتها عن خالقها

العظيم وعن مبدئها ومنتهاها ، فإذا استحضرت كل ذلك ذلت ، وإذا ذلت عزت وجلت ، وفي الحديث : (من تواضع رفعه الله ومن تكبّر وترفّع وضعه الله) . ولو أردنا أن نشرح أكثر فوائد الصلاة وأسرارها ومنافعها في الدنيا فضلاً عمّا لها من الأجر عند الله تعالى لطال بنا المقام ، وفي هذا القدر كفاية إن شاء الله .

نقل بهذه المناسبة جزءاً مما كتبه المؤلف عن أسرار الصلاة في شرحه كتاب سفينة النجاة للمرحوم حجة الإسلام أخيه الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء :

بل كل تلك الأعمال المتسقة المرتبة بذلك الترتيب الخاص والأوضاع المعينة حركات رياضية لها أعظم الاثر في نشاط الأعضاء وتقلص العضلات وقوتها وتماسكها وتنبيه العصب الحساسة ، وتحريك الدورة الدموية ، وايقاد الحرارة الغريزية التي تهيء بيئة داخلية ثابتة وتنشط القوى لاعمال الفكر الصحيح ، ومعلوم أن وظيفة العضلات لا تقف عند حد حركة إنتقال الجسم من مكان الى آخر بل لها وظائف أهم وأعم وهو تأثيرها النافع في جميع مقومات البدن ومكائن التحليل والتبديل ، وتنبيه الجهاز الهضمي والعمود الفقري ، فتلك الحركات تمارين

صحيـة ورياضـة طبيعية لهـا في كل عضـو أثـر خـاص عميق منظمة ابدع تنظيم في أوقات معينة كل يوم ، بل هي مـع ذلك وصفـة طبية ، وطـراز بديـع في تحصيل المنـاعة للمفـاصل والعـظام والاعصاب والقلب والـرئة والمعدة ، بل والرئيس الاعلى وهو الدماغ ، ولـذا ورد في بعض الأخبار أن الصلاة مصحة للأبدان . نعم هي مبتكرة وبديعـة في تنشيط مقومـات الجسم وإعانـة كل جزء من أجزاء البدن على اداء وظيفته وعمله ومـا خلق من أجله ، فـإذا أدى كل عضـو وظيفته جـاءت الصحة وتموج في الجسم ماء الحيـاة وتدفق فيـه نمير البهجـة والنشـاط والمرح ، وتمكنت النفس من صحيح الأفكار فيما يجري على لسانها من القراءة والأذكار ، وخشعت الجـوارح وخضعت الاطـراف وعـرجت الـروح الى صفـوف الملأ الأعلى ، واستحقت الانـدمـاج في زمـر المـلائـك في حـظيـرة القـدس متجـولـة في صـوامـع الملكـوت ، وجوامـع الجبروت ، واطمـأنت بوقـوفهـا مبتهجة مطمئنة بمشاهدة تلك العظمـة ونوديت من أفق تلك الأصقـاع المتعـاليـة « يـا أيتهـا النفس المـطمئنـة أرجعي الى ربـك راضية مـرضيـة فـادخلي في عبـادي وادخلي جنتي »[1] . فهل تيقنت من كل هذا وهو قليل

---

(١) الفجر سورة٨٩ . آية٢٧ .

من كثير ، وجرعة من غدير ، أن الصلاة رياضة بدنية . ورياضة روحية . رياضة معتدلة . رياضة هادئة ، وانها تمنح الإنسان بالمواظبة على أدائها في أوقاتها الخاصة قوة الارادة وضبط الوقت وحفظ النظام ورسوخ ملكة الوفاء بالعهد وصدق الوعد ، الى كثير من أمثال هذه السجايا والمزايا ، فأين هذه الرياضة من رياضة الألعاب الصبيانية من النط والقفزان ، والوثبة والنزوان ، مما هو بالأطفال اليق ، وهي بهم الصق ، وهل الصلاة إلا نظافة وتطهير ، وعبرة وتفكير ، وحركات رياضية وجهود عقلية ومكاشفات روحية وايسر أثر من آثارها ، وثمرة من جنى ثمارها أنها إذا اقيمت بشرائطها واديت بوظائفها المعتبرة فيها وسننها المرعية بها ضمنت لفاعلها النهي عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله فيها أكبر ، فهل بعد هذا أيها المسلم تتثاقل من المبادرة الى هذا العمل العظيم ، والخير الجسيم الذي لا يحتاج الى أكثر من ربع ساعة أو نصف ساعة ، ثم السعادة الأبدية من حين القيام بها الى قيام الساعة ، وفيها للمتدبر فيها مضافاً الى ما أشرنا اليه من المنافع الجسمية والروحية روح وبهجة ، وغذاء ولذة قد لا توجد في شيء من لذات الدنيا وأعمالها ، ولكن لأهلها ، وأنها لكبيرة إلّا على الخاشعين ومن ذاق

عــرف ، ومن عـرف وصف ومن وصف أنصف ، ومن اجل هذا وما هو أكثر منه جعلها الشارع بـذلك المقـام من الأهمية فصيرها عمود الدين ومعراج المتقين ، ولـم يكن بين المسلم والخــروج من الإســلام ســوى تـرك فريضة واحدة . ولو اتسع لنا الوقت ونفست من خناقنـا هذه الظروف القـاسية وخفت وطـأة ما نـلاقيه من هـذه الامـة الجاهلة العميـاء ـ لكتبنا أنفس كتـاب واسـع في مزايا الصـلاة وحكمها وأســرارها ومنـافعها الإجتمـاعية والصحية وغيرها مما يدلك على عظمة دين الإســلام ، وتعـرف بحق أنـه أشـرف الأديـان ، وكـذلـك ســائـر تشريعاته وأحكامه وبالله المستعان ولا حول ولا قـوة إلا به وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الماء

الماء هو الذي لا يحتاج في التعبير عنه الى لفظ آخر ، فمثل ماء الورد وماء الرمان وكل معتصر أو ممزوج بجسم آخر بحيث لا يطلق لفظ الماء وحده عليه خارج عن الماء ، وينجس بمجرد الملاقاة ، وإن كان بغاية الكثرة وهو المضاف . وأما الاول وهو المطلق فقسمان : قسم ينجس بملاقاة النجاسة ، وإنما ينجس بتغير لونه أو طعمه أو ريحه بسبب وقوع النجاسة فيه . والمدار على تغير أوصافه الثلاثة بها ، وإن لم يكن بأوصافها وهو ثلاثة أنواع :

(١) الجاري على الأرض من مادة نابعة ويلحق به ماء الآبار والعيون ونحوها مما ينبع ولا يجري .

(٢) ماء المطر حال تقاطره من السماء فلو لاقى نجاسة في الأرض حال اتصال التقاطر لم ينجس إلا اذا تغير .

(٣) الراكد الذي لا مادة له من السماء ولا من

الارض إذا كـان قدر كـر فما زاد ، وهـو بحسب الوزن مائتان واثنتان وسبعون حقة ونصف حقة اسلامبول التي هي مائتان وثمانون مثقالاً صيرفياً ، وبحسب الحجم ما بلغ مكسره ثلاثة واربعين شبراً إلا ثمن شبر ، وما عـدا ذلـك من الميـاه الـراكـدة التي لا مـادة لهـا ولا تبلغ الكرفهي تنجس بمجرد الملاقاة .

ويـطهر المـاء المتنجس بهـا بـاتصـالـه بـالكـر أو الجاري ، بحيث يصير المجموع ماء واحـداً أو بوقـوع شيء من المـطر عليه ـ مـع زوال التغير إن كـان متغيراً بالنجاسة .

النجاسات

النجـاسـات وهي الأعيـان التي حكم الشـارع بـإجتنابهـا واجتناب مـلاقيها بـالأكل والشـرب والصلاة والطواف ، وأوجب تنزيه المساجد والقرآن وكل محترم منها وهي عشر .

(١و٢) البول والغائط مما لا يؤكل لحمـه من ذي النفس السـائلة يعني مـا لـه عـروق تشخب دمـاً عنـد القطع .

(٣) المني من ذي النفس مـطلقـاً

(٤) الميتة كذلك وهي التي خرجت روحهـا بغير الذبح الشرعي .

(٥) الدم من خصوص ذي النفس أيضاً فدم البق والسمك ونحوهما مما ليس لـه عروق تشخب دمـاً غير نجس وان حرم أكله لكونه من الخبائث .

(٦و٧) الكلب والخنزير البريان .

(٨) الكافر .

(٩) الخمر وكل مسكر مائع بالأصالة ـ فمثل الحشيشة والترياق طاهر وان حرم شربهما .

(١٠) الفقاع وان لم يسكر وهو شراب يتخذ من الشعير على وجه مخصوص .

وتثبت نجاسة الشيء بالعلم بملاقاته لشيء من هذه النجاسات العشر برطوبة ، أما مع اليبوسة فلا نجاسة . وتثبت أيضاً بالبينة وهي الشاهدان العادلان وبالعدل الواحد ، وبقول ذي اليد مطلقاً ويجب إزالتها عن الثوب والبدن في الصلاة والطواف ، وعن المساجد وعن خصوص مسجد الجبهة ، وإن كانت يابسة . والمحمول النجس الذي لا يلوث الثياب لا بأس به . وكذا لا بأس بنجاسة ما لا يستر كالتكة والجواريب ، ويعفى في الصلاة عن دم القروح والجروح وعن مقدار الأنملة من سائر الدماء غير دم النساء .

المطهرات

المطهرات أمور :

(١) الماء وهو اعظمها واعمهـا ويطهـر كل شيء حتى ما كان من جنسه ولكن مع زوال عين النجـاسة ، ويكفي المـرة في التطهـر به مـطلقاً والأحسـن الثـلاث والعصر بينها خصوصاً في مثل الثياب . ويتعين الثلاث في تطهير الآنية من ولوغ الكلب مع التعفير بـالتراب . والسبع من ولوغ الخنزير بعد التعفير .

(٢) الأرض الجافة تـطهر بـاطن النعل المتصـل بها واسفل القدم بالمشي عليها مع زوال العين .

(٣) الشمس تـطهـر مـا تجففـه من الحصـر والبـواري ومـا لا ينقـل عـادة كـالارض والجـدران والاخشـاب والابـواب حتى مثـل الـزرع والفـواكـه والأشجار مع زوال العين .

(٤) الاستحالة كالخشب يصير رماداً أو دخانـاً أو

بخاراً والعذرة دوداً أو تراباً ، والمني يصير إنساناً وهكذا .

(٥) الانقلاب كالخمر يصير خلاً .

(٦) الاسلام يطهر بدن الكافر وجميع ما عليه .

(٧) خروج الدم المعتاد من الذبيحة يطهر ما يتخلف من الدم فيها .

(٨) غيبة المسلم ومن بحكمه كطفله المميز مع علمه بالنجاسة واحتمال التطهر .

(٩) التبعية كأواني الخمر إذا انقلب خلاً .

(١٠) زوال عين النجاسة عن بدن الحيوان الطاهر كالشاة والفرس وعن بواطن الإنسان كأنفه وفمه .

قاعدتان شرعيتان

قاعدتان شرعيتان مهمتان :

الاولى : كل شيء شككت في طهارته ونجاسته فهو لك طاهر ولا تعتني بإحتمال نجاسته وان كان الاحتمال قوياً .

الثانية : كل شيء شككت في أنه حلال اكله أو حرام فهو حلال لك إلا ما كان من حيوان كاللحوم والشحوم والادهان ونحوها . نعم كل ما أخذ من مسلم أو من سوق المسلمين وشككت فيه فهو حلال يجوز أكله وشربه واستعماله والصلاة فيه ولا يجب الفحص عنه . ويلحق بهما قواعد أخرى وهي كل مغصوب فإستعماله حرام والوضوء به باطل مع العلم بغصبيته وان كان الغاصب غيرك . وكل أواني الذهب يحرم استعمالها بجميع أنحاء الاستعمال ، وجلود الميتة نجسة أبداً ولا تطهر بالدبغ ولا يجوز إستعمالها مطلقاً . أما مع الشك بأنها من الجلود أو غيرها فهي محكومة بالطهارة .

الوضوء

إذا عـرفت أقسام الميـاه والـطاهـر والنجس منهـا وأردت الصلاة وجب عليك الوضوء ، وينبغي لـك قبله طلب الخلوة في مكـان يستـر عـورتـك عن النـاظـر المحترم كوجوب سترها في سائر الأحوال . ولا تجلس مستقبـل القبلة ولا مستـدبـرهـا بـل تجلس مشـرقـاً أو مغرباً . ويجب غسل مخرج البول بالماء وكذا المخرج الآخر . ويجوز مسحه بأجسام ثلاثـة طاهـرة قالعـة من أحجار أو خرق أو نحـوها ، ويكفي حينئـذٍ عن الماء ، فـإذا تطهـرت قمت الى الـوضـوء فغسلت يـديـك الى الزندين مع البسملة . وواجبات الوضوء أمور :

(١) النيـة وهي القصد الى إيجـاد هذه الأعمـال بداعي القربة الى الله تعالى وامتثـال أمره ، وهـو معنى نفساني صرف ليس للفظ مدخل فيـه بل الأحسن تـرك التلفظ .

(٢) غسل الوجـه باليـد من منتهى منابت الشعـر

الى طرف الذقن طولاً وما أحاطت به بسطة يدك عرضاً .

(٣) غسل اليمنى من المرفق الى رؤوس الأصابع واليسرى كذلك .

(٤) مسح شيء من مقدم الرأس مما يوازي الجبهة بشيء من احدى اليدين ببلة الوضوء لا بماء جديد .

(٥) مسح تمام ظهر القدمين بتمام باطن أحد الكفين .

شروط الوضوء وموانعه

الوضوء له شروط وموانع ونواقض . أما شروطه فأمور :

(١) طهارة الماء .

(٢) إباحته فلو كان نجساً أو مغصوباً بطل .

(٣) الترتيب على النحو المتقدم ولا ترتيب بين الرجلين .

(٤) الموالاة بمعنى المتابعة في الاغسال ، ولا يضر الفصل القليل عادة ، فلو غسل اللاحق بعد

جفاف السابق بطل .

(٥) المباشرة بنفسه مع القدرة .

(٦) أن لا يكـون استعمال المـاء مضراً فلو كـان مضراً وجب التيمم بدلاً عنه ولو كان على بعض أعضاء الوضوء جبيرة يشق نزعها مسح عليها بدل الغسل .

(٧) أن يكون الوقت متسعاً للوضوء والصـلاة فلو ضاق عنهما تيمم .

(٨) يجب ازالـة الحاجب عن وصـول الماء الى البشرة إلا في الجبيرة .

(٩) الغســل من الأعلى الى الأسفـل فلو عكس بطل .

(١٠) الترتيب . هـذه شـروط صحـة الــوضـوء واضداده وموانعه .

نواقض الوضوء

وأما نواقض الوضوء فأشهرها أربعة :

النــوم والبــول والـريح والغـائط . واذا قدمت غسـل اللاحق من الأعضـاء على السابق فـأعـد غسـل السـابق والـلاحق ليحصـل التـرتيب وامســح رأسـك

ورجليك ببلة وضوئك لا بماء جديد . وإذا شككت في غسل بعض الأعضاء ومسحها ، فإن كان الشك قبل الفراغ من الوضوء فأت به ، وان كان بعده فالوضوء صحيح ولا تلتفت الى الشك . ومن تيقن وشك في صدور الناقض منه لا يلتفت الى الشك وبالعكس يجب عليه الوضوء . ويحرم مس كتابة القرآن أو شيء من أسماء الله تعالى بغير وضوء .

التيمم

وإذا لم يكن عندك ماء أو كان استعماله مضراً بك لمرض أو خوف عطش أو كان الوقت ضيقاً ، أو كان لا يحصل إلا بثمن يضر بحالك فتيمم بدل الوضوء أو الغسل ، وصورته بعد النية : أن تضرب بباطن كفيك معاً على وجه الأرض الطاهرة المباحة سواء كانت تراباً أو رملاً أو حجراً أو حصى أو نحوها مما لا يخرج عن اسم الأرض ـ فلا يصح بمثل الملح والقير ونحوهما من المعادن ـ ثم تمسح بهما بعد الضرب على الأرض جبينك من منتهى قصاص شعر الناصية الى طرف الأنف الذي يلي الحاجب طولاً ، ومن الجبين الأيمن الى الأيسر عرضاً بالكفين معاً . ثم تضرب الأرض ثانياً وتمسح ظهر الكف اليمنى باليسرى واليسرى باليمنى من الزند الى رؤوس الأصابع .

فالتيمم اذا ضربتان ومسحتان ، مسحة للجبين ومسحة للكفين ، وإذا صليت بالتيمم وتمكنت بعدها

من الماء فصلاتـك صحيحة لا إعـادة لها ولا قضـاء ، وان تمكنت منه قبـل الـركـوع الأول قـطعت الصـلاة وتـوضأت وصليت وإلا فـامض في صلاتـك . وينقضه كل ما ينقض الوضوء من الأحداث ويستباح بـه كـل مأ يستباح بالوضوء مع بقاء العذر .

مستحبات الصلاة

فإذا أكملت طهارتـك من وضوء أو تيمم فقم الى الصلاة التي عرفت انها عمود الـدين ـ ولها مستحبـات وواجبات :

ومستحباتها كثيرة قبلها وبعدها وفي أثنائها . وأهم ما يستحب قبلها الاذان وآكـــد منـه الإقـــامـة وهي ١٧ فصلاً .

الله أكبر . أشهد ألا إله إلا الله . أشهد أن محمداً رســول الله . حي على الصــلاة . حي على الفـلاح . حي على خير العمل . قد قامت الصــلاة . الله أكبر . كـل واحد منهـا مـرتـان ويختم بـلا إلـه إلا الله مـرة . والأحسن أيضاً مرتان .

وأهم مـا يستحب في اثنـائهـا القنـوت وهــو رفـع اليدين بالدعاء بعد القراءة قبـل ركوع الثـانية . ويكفي فيه من الدعـاء أن تقول :(اللهم أغفـر لي ولوالـدي)

ونحو ذلك .

وأهم ما يستحب بعدها التعقيب ، يعنى الجلوس لذكر الله تعالى بعدها ولو قليلاً ، ونعني به ما يجوز تركه والأرجح فعله .

والواجب مالا يسوغ تركه وقد يفسد العمل بدونه .

مقدمات الصلاة

الفرائض اليومية خمس ـ وهي ١٧ ركعة ـ أربع للظهر . وأربع للعصر . وثلاث للمغرب . وأربع للعشاء . وإثنتان للصبح . ولا تجب إلا على البالغ العاقل دون الصبي والمجنون ، ولها مقدمات ـ هي شروط صحتها ، واجزاء ـ هي مقدمات ماهيتها . ومبطلات هي موانع تحققها .

أما الشروط فهي أمور .

(١) الاسلام فلا تصح من الكافر حتى يسلم .

(٢) الطهارة من الحدث بالوضوء أو الغسل أو التيمم .

(٣) طهارة ثيابه وبدنه وموضع سجوده من النجاسة .

(٤) الوقت : وبيانه أنك إذا واجهت نقطة الجنوب في العراق ووجدت الشمس قد مالت الى طرف الحاجب الأيمن فقد دخل وقت الظهر ، وكلما بادرت فهو أفضل . وبعد مقدار أدائها يدخل وقت العصر ويمتد وقتهما الاجزائي الى غروب الشمس ، وبعد غروبها ببضع دقائق يدخل وقت صلاة المغرب وكلما تقدمت فهو أفضل . وبعد مقدار أدائها يدخل وقت العشاء ويمتد وقتهما الاجزائي الى نصف الليل . ولذوي الأعذار الى الفجر . وعند ظهور النور المعترض في الأفق الشرقي - وهو الفجر الصادق - لا المستطيل وهو الكاذب ، يدخل وقت الصلاة الفجر وكلما تقدمت بعده فهو أفضل . ويمتد وقتها الاجزائي الى طلوع الشمس . ولا تصح الصلاة قبل الوقت . ولو فاتته لعذر أو عصيان أو نسيان قضاها بعده .

مكان الصلاة والساتر

فإذا احرزت دخول الفريضة فقم الى مكان مباح أولاً - أي غير مغصوب - يمكن الاستقرار عليه ثانياً ، غير نجس نجاسة تلوث الثياب والبدن ثالثاً ، وإذا كان طاهراً من كل نجاسة فهو أولى . وهذا أي المكان هو الشرط الخامس من مقدمات الصلاة وشروطها . والشرط السادس - الساتر - فلا تصح الصلاة عارياً مع

القدرة على الستر ولو بورق الاشجار ونحوها ولو تعـذر بالكلية صلى جالساً مـع عدم الامن من النـاظر وقـائماً مع الامن . ويشترط في الساتر أمور .

(١) أن يكون غير مغصوب .

(٢) ولا نجس .

(٣) ولا من حرير محض ، أما الممزوج بالقطن ونحوه فلا بأس ولو كان قليلاً .

(٤) وان لا يكـون من صوف أو شعـر أو وبـر او جلد مـا لا يـؤكـل لحمـه من الحيوانـات كـالسنـور والسبع ونحوها .

(٥) وان لا يكـون منسوجـاً من الذهب . فلو لم تجد إلا ما فيه بعض هذه المـوانع فصـلِّ عاريـاً إلا ان تخاف البرد فتصلي فيه .

القبلة

فإذا تمت لك تلك المقـدمات الست تـوجهت الى القبلة وهـو الشـرط السـابـع . والقبلة هي الكعبـة المقدسة ـ فيجب التوجه اليها في الصلاة مع العلم بها والـظن المعتبر كـالبينة وخبـر العدل ، ومـع العجز عن معـرفتها أو الاضـطرار كراكب السفينـة أو بيـوت سكـة

الحديد وأمثالها فيتوجه اليها قدر ما يمكن من صلاته مع عدم المشقة . ويسقط وجوب التوجه في المتعذر والشاق وهو مورد قوله تعالى : ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ [1] ولو انكشف بعد الصلاة انه كان مستدبر القبلة فيها أعادها ، ولا إعادة مع الجهل والنسيان إلا في الاستدبار وهو مورد قولهم (ع) : (ما بين المشرق وبين المغرب قبلة) . فإذا توجهت اليها فأذن واقم كما عرفت ـ إذا شئت ، وادخل في الصلاة .

أجزاء الصلاة

قد عرفت مقدمات الصلاة وشروطها ـ وأما أجزاؤها المقومة لماهيتها فهي أيضاً أمور :

(١) **النية** ـ أعني القصد الى ايجاد تلك الأفعال الخاصة قربة الى الله تعالى أي بداعي أمتثال أمره لا لغرض آخر من رياء ونحوه ، وهذا معنى الاخلاص الذي هو روح العبادة ـ وهي بدونه جسم بلا روح وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾[1] . والنية أمر بسيط جداً لا يحتاج الى أكثر من تعيين الفعل المنوي وانه ظهر أو

(١) البقرة سورة٢ . آية١١٥ .

(١) البينة سورة٩٨ . آية٥ .

عصـر أو غيـر ذلـك ، وان يكـون المحــرك على فعله التقـرب الى رضوان الله تعـالى ولا يحتاج الى لفظ ولا الى تصور تفصيلي .

(٢) **القيــام** ـ فتقف متنصبـاً ـ أي غيــر منحني ـ مستقلاً أي غير معتمد ولا مستند الى شيء من جدار أو غيره ـ مستقراً ـ أي غير مضطرب ولا مهتـز ـ كل ذلـك مع القدرة أما مع الضـرورة فلا حـرج . وإذا عجز عن القيام سقط بمقدار عجزه فيصلي جالسـاً وإذا عجز عن الجلوس صلى مضطجعاً الى جنبه الأيمن ثم الأيسر ثم مستلقياً ويومي برأسه أو بعينيـه للركوع والسجـود (ولا تسقط الصلاة بحال) .

(٣) **تكبيرة افتتاح الصلاة** وتسمى أيضاً (تكبيـرة الأحـرام) ، اذ بعد التلفظ يحـرم اختيار قـطع الصـلاة بشيء من المبـطلات التي سيأتي ذكـرها . وصـورتهـا (الله أكبـر) وهي من أركان الصـلاة التي تبطل بتـركها عمداً وسهواً ويلزم أن يأتي بها حـال القيام والاستقبـال والستـر . فلو كبر قـاعـداً أو على غيـر القبلة أو عـاريـاً بطلت ولو سهواً . أما مع الضرورة فلا حرج .

(٤) **قـراءة سورة الفـاتحـة بتمـامهـا** . والبسملة عنـدنا جـزء منها فلو تـركها أو تـرك حرفـاً من الفاتحـة

عمداً بطلت صلاته .

(٥) **قـراءة سورة كـاملة من القرآن الكـريم بعد** الفاتحة ولو من أصغر الصور كالكوثر . والأفضـل قراءة التوحيد . وتـركها عمـداً تبطل الصـلاة أيضاً . أمـا مع نسيانها أو نسيـان الفاتحـة أو شيء منها فتصـح الصلاة ويسجد بعدها سجدتي السهـو . ويجب الجهر بقـراءة الفـاتحـة والسـورة على المتعـارف في صــلاة الصبـح والمغرب والعشاء والاخفات في قراءة الظهرين . وأمـا مـا عـدا القـراءة من الأذكـار فيتخيـر فيهـا بين الجهـر والاخفات مطلقاً . ولو اخفت في موضع وجوب الجهر أو بالعكس عمداً بطلت أما جهلاً أو سهواً فلا .

(٦)**الركوع** وهـو الانحناء الى أن تصـل يداه الى ركبتيه ويجب فيه تسبيحـة كبرى « سبحـان ربي العظيم وبحمده » أو ثلاث صغرى .

(٧) **السجـود** وهو وضـع الجبهة على الأرض أو ما أنبتت غير المأكول والملبوس أو القرطـاس ، ويجب فيــه أيضــاً تسبيحــة كبــرى (سبحــان ربي الأعـلى وبحمـده) أو ثلاث صغـرى والجلوس بينهما وبعـدهـا مطمئناً ، والسجـود على سبعة أعضـاء الجبهة والكفين والركبتين وابهامي القدمين .

(٨) **التشهد** مرة بعد الركعة الثانية في الثنائية واخرى في آخر الصلاة فيما عداها والواجب منه أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صلى على محمد وآل محمد .

(٩) **التسليم** والواجب واحدة من « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » فإذا قال الأولى استحبت الثانية وان قال الثانية سقطت الأولى وأما « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » فهو مستحب ولا يجزي عن الواجب والتسليم جزء من الصلاة على الأصح فلو قارنه الحدث أو نحوه بطلت .

(١٠) **الطمأنينة في جميع أحوال الصلاة** .

(١١) **الترتيب على النحو المتقدم** .

(١٢) **الموالاة وعدم الفصل الطويل بين أفعالها** .

قواطع الصلاة ومبطلاتها

(١) **الحدث** أي ما يوجب الغسل أو الوضوء يبطلها عمداً أو سهواً أو جهلاً اختياراً أو اضطراراً .

(٢) **التكفير** وهو وضع إحدى اليدين على

الأخرى يبطلها عمداً اختياراً .

(٣) **الإنحراف** عن القبلة بكل البدن الى اليمين أو الشمال أو انحراف الوجه الى وراء أما انحرافه اليهما فمكروه والاستدبار بالوجه فضلاً عن البدن مبطل مطلقاً .

(٤) **الكلام** عمداً ما لم يكن ذكراً أو دعاء بحرفين ولو مهملين أو واحد ذي معنى .

(٥) **القهقهة عمداً** أما التبسم فمكروه .

(٦) **البكاء** بصوت على شيء من أمور الدنيا . أما لو بكى تضرعاً الى الله تعالى ليشفي مريضه أو يقضي حاجته فلم يقدح وإن كان الأحوط الاجتناب أيضاً . أما البكاء فيها من خشية الله فهو روحها وجوهرها .

(٧) **كل ماح لصورتها** وإن لم يكن فعلاً كثيراً كالوثبة الفاحشة وشرب الدخان والنظر في كتاب ونحو ذلك .

(٨) **الأكل والشرب عمداً** . وإن لم يكن فعلاً كثيراً ولم يمح صورتها ، أما لو بلع ما في فمه من الطعام المتخلف أو ذوب النبات والثلج في فمه ونزوله

تدريجاً فلا يقدح والأحوط الإجتناب .

(٩) **آمين آخر الحمد** عمداً اختياراً على الأحوط .

(١٠) **الشكوك** المبطلة كما سيأتي .

(١١) **الزيادة العمدية** مطلقاً أو زيادة الأركان مطلقاً .

(١٢) **النقيصة كذلك** .

الخلل

من زاد جزءاً في صلاته ركناً كان أو غيره بنية الجزئية لا بنية الذكر أو الدعاء عمداً بطلت صلاته ، والنقيصة عمداً كذلك . ومن زاد سهواً فإن كان ركناً بطلت كركوعين في ركعة واحدة أو سجودين أي أربع سجدات إلا في الجماعة فيما لو رفع المأموم رأسه قبل الإمام حيث يلزمه العود ولا شيء عليه ، وإن لم يكن ركناً مضت صلاته وسجد بعدها سجدتي السهو . ومن نقص سهواً فإن كان ركناً أتى به ان ذكره قبل الدخول في ركن آخر وإلا بطلت . فلو نسي الركوع وذكر قبل السجدة الثانية عاد وأتى به ثم بالسجدتين ثم بسجدتي السهو بعد الصلاة ، وإلا استأنف صلاته ، وإن لم

يكن ركناً أتى به وبما بعده ما لم يدخل في ركن وإلا مضت صلاته وسجد بعدها سجدتي السهو ، ولا يقضي من الأجزاء المنسية الواجبة سوى التشهد وأجزائه والسجدة الواحدة .

الشكوك في الصلاة

ولا تكاد تنضبط صورها الممكنة عقلاً ، ولكن يمكن حصر عام البلوى منها في ثلاثة أنواع :

(١) ما لا يعتد به ولا يحتاج الى علاج .

(٢) ما يعتد به فيبطل وليس له علاج .

(٣) ما لا يبطل ولكن يحتاج الى علاج .

ولكل منها خمس صور :

صور الأول

(١) الشك بعد خروج الوقت في أصل فعلها أو في شيء من أفعالها أو شرائطها .

(٢) الشك في فعل أو قول ركن أو غيره تجاوز محله والدخول في غيره واجباً كان الغير أو مستحباً ، فعلاً أو مقدمة فعل . حتى الهوي الى الركوع أو السجود على الأقوى .

(٣) الشك بعد الفراغ أي بعد السلام الواجب .

(٤) شك كثير الشك وهو من تعاقبت عليه في صلاة واحدة أو ثلاث ثلاثة شكوك ، فإنه يصير بعدها كثير الشك فلا يلتفت الى شكه ولو كان في صلاة أخرى ما لم تمض عليه ثلاث صلوات سالمة وهكذا .

(٥) الشك مع قيام إمارة شرعية على الصحة وإن لم تفد الظن خاصة في باب الصلاة ، كشك الامام مع حفظ المأموم والعكس ، أو عامة كالبينة ونحوها .

صور النوع الثاني :

(١) الشك في ما عدا الرباعية ثلاثية كالمغرب أو ثنائية واجبة كالصبح والجمعة والعيدين والآيات والطواف ، واليومية المقصورة عدا صلاة الاحتياط . نعم المقصورة في مواضع التمييز يمكن القول بجريان الشكوك الصحيحة في بعض صورها وإن كان الأحوط الإعادة .

(٢) الشك في الأوليين من الرباعية مطلقاً حتى في الأخيرتين منها ، فلا يختص شكها المبطل بالشك قبل إكمال السجدتين من الثانية .

(٣) الشك المقرون بالعلم الإجمالي بين الزيادة

والنقيصة ، كالشك بين الثلاث والخمس بعد الجلوس من السجدتين . أما حال القيام فيمكن تصحيحه .

(٤) الشك المنتهي الى العلم التفصيلي بالبطلان ، كالمردد بين الزائد على الأربع ، مثل ما لو شك أنها خمس أو ست وهو جالس أيضاً وهكذا .

(٥) لو شك في عدد غير محصور ، يعني لم يدر كم صلى ، فالشك في هذه الصور مبطل للصلاة موجب للإستيناف ، ولكن بعد استقراره لا بمجرد خطوره ، كما أنه أي الخطور في الصور السابقة لا يلتفت اليه ويبني على الصحة وفراغ الذمة .

صور النوع الثالث :

(١) الشك بين الاثنين والثلاث حال الجلوس ، فإذا استقر شكه بنى على الثلاث وأتم واحتاط بركعتين من جلوس أو ركعة من قيام .

(٢) الشك بين الثلاث والأربع حال القيام أو الجلوس بنى على الأربع وأتم واحتاط كما سبق .

(٣) الشك بين الاثنين والأربع حال الجلوس بنى على الأربع واحتاط بركعتين من قيام .

(٤) الشك بين الاثنين بعد إكمال السجدتين

وبين الثلاث والأربع بنى على الأربع واحتاط بركعتين قائماً وركعتين جالساً .

(٥) الشك بين الأربع والخمس فإن كان في القيام قبل الركوع هدم وعاد الى الشك بين الثلاث والأربع فيبني على الأربع ويتم عمله ، وإن كان بعد إكمال السجدتين بنى على الأربع أيضاً وأتم وسجد سجدتي السهو ، وإن كان بعد الركوع قبل السجود ، فالأقوى البطلان ، وهي داخلة في الصورة السابقة .

سجدتا السهو

مع أنها تجب لكل زيادة ونقيصة ، تجب أيضاً في خمسة موارد منصوصة :

(١) في التكلم سهواً .

(٢) في السلام في غير محله يعني إحدى الصيغتين مع إتمامها ولا تجب في المستحب .

(٣) التشهد المنسي أو ابعاضه والسجدة الواحدة .

(٤) في الشك بين الأربع والخمس كما مر .

(٥) القيام في موضع القعود أو العكس وكيفيتها ينوي ويكبر ثم يسجد ويقول مطمئناً : « بسم الله وبالله

وصلى الله على محمد وآل محمد»، ثم يرفع رأسه ويطمئن ويسجد ثانياً ثم يجلس ويقول : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صلي على محمد وآل محمد» ويسلم بإحدى الصيغتين .

أفعال صلاة الاحتياط

هي النية وتكبيرة الأحرام والفاتحة فقط إخفاتاً والركوع والسجود والتشهد والتسليم ، وإذا شك فيها يبني على المصحح ، واما في اعداد النوافل فيتخير فيه بين البناء على الأقل والأكثر ، وأما السهو فيها فلا حكم له ، بل يمضي وإن كان الأولى في نسيان السجدة أو التشهد قضاؤها أيضاً . أما الأجزاء والشرائط والموانع فهي في النافلة والفريضة سواء عدا السورة ، فإنها ليست بجزء في النافلة .

الصوم

يجب على كل مكلف غير الحائض والنفساء والمسافر والمريض الامساك بقصد القربة الى الله عن تعمد الأكل والشراب مطلقاً ، وعن الجماع قبلاً أو دبراً انساناً أو بهيمة حياً أو ميتاً فاعلا أو مفعولا ، وعن الاستمناء وعن البقاء على الجنابة حتى يطلع الفجر أو حدث الحيض والنفاس والاستحاضة ، بل يجب الغسل مع النقاء قبله ، وعن معاودة الجنب النوم مرتين قبل الفجر بعد انتباهتين ، وعن إيصال الغبار الغليظ الى الجوف ، في كل يوم من شهر رمضان من طلوع الفجر الى ذهاب الحمرة المشرقية على الأحوط ، فلو أخل في شيء منها وجب عليه القضاء والكفارة ، ويجب القضاء فقط لو عاد بعد انتباهه أو تعمد القيء أو احتقن بالمائع ، والأقوى كراهة رمس الرأس في الماء والأحوط الاجتناب ، أما الكذب على رسول الله والأئمة صلوات الله عليهم فتتأكد حرمته والأحوط القضاء معه ، ويثبت شهر رمضان برؤية الهلال أو

بشهـادة عدلين أو بحكم المجتهـد الجامـع للشرائط أو الشياع فضلاً عن التواتر المفيد للعلم ، أو بإكمـال عدة شعبـان ومثله هلال شـوال ، ولا يقع في شهـر رمضان غيـره ، ولو نـوى غيره لم يقـع عنـه ولا عن رمضـان ، والأولى في يـوم الشك صـومه بنيـة القربـة بلا تعيين ، ويجـزي عن رمضان لـو صادفـه . ولا حاجـة أيضاً في شهر رمضان الى تعيين بل ينوي صوم هذا اليـوم قربـة الى الله تعالى ، وهي كما عـرفت الداعي بـلا لفظ ولا أخـطار ، وتجوز من أول الليـل وتتضيق عند الفجـر ، وتمتد في المسافر والغافـل . وقضاء رمضـان وغيره من أنـواع الصـوم الـواجب الى الـزوال ، ويلزم في غيـره التعيين .

وكفـارة إفـطار رمضـــان كبـرى مخيـــرة بين العتق والصيـام ستين يومـاً أو إطعام ستين مسكينـاً ، وكفـارة قضـاء رمضان مـرتبة إطعـام عشـرة فـإن عجـز فصيـام ثـلاثة ، ولا كفـارة في شيء من أنواع الصـوم الواجب غـيرهـمـــا، نعم في مخـالفـة النـذر كفـارة يمين على الأقـــوى فيهـا أمـــران ، عتق رقبـــة أو إطعـــام عشـــرة مساكين ، فإن عجز فثلاثـة أيام . وكفـارة الجمع فيمن أفطر على محرم عتق وصيـام وإطعام ، ويسقط الصـوم عن الشيخ والشيخة وذي العطاش مع المشقة الشديـدة

في صـومه ، وتجب الفـدية عن كـل يوم بمـد ، وكـذا الحـامـل المقـرب والمـرضعـة القليلة اللبن ، ويقضي المرتدّ زمان ردته دون الكافر الأصلي والمخالف إذا استبصر وقاضي شهر رمضان له الإفطار قبل الزوال مع سعة الوقت، فإن أفطر بعده كفر ، والتتابع غير لازم في شيء من الواجب إلا في شهر رمضان ، وصوم الكفارة في واحد وثـلاثين يـومـاً والنـذر المعين فيـه التتـابـع ، والصـوم المستحب في السفر أقل ثوابا من الحضـر . ويستحب الاعتكـاف مطلقـاً سيمـا في العشـر الأواخـر من شهـر رمضـان ولا يصـح إلا في أحـد المسـاجـد الأربعـة : الحـرمين أو الكـوفـة أو البصـرة ، وهـو عبارة عن نيـة اللبث فيها ثلاثة أيام متـواصلة صائمـاً ، فلا يصـح إلا ممن يصـح منـه الـصـوم ولا يخـرج إلا لـضـرورة شرعية أو عادية أو أمـر راجح شـرعاً كتشييـع جنازة أو قضاء حاجة مؤمن ونحوهمـا ، ومع الخـروج لا يمشي تحت الضلال ولا يجلس ولا يصلي ويحرم عليـه كلما يحرم على الصائم ، وله قطعه قبل الدخول في الثـالث إلا إذا اشتـرط ولم يكن واجبـاً بنـذر ونحـوه ، ويحـرم عليـه الجماع مـطلقاً حتى في الليـل ، فلو جامـع كفر وفي النهار تتضاعف ، ولـو أفسده وهـو واجب قضاه ، ولو حاضت أو مرض المعتكف قضياه إن كان واجباً .

الزكاة

ووجوبها شـديد مؤكـد وهي ثانيـة الصلاة وتجب في تسعة أشياء : (١و٢) **النقدين الذهب والفضة** : بشـرط السكة والحـول والنصاب وهـو عشـرون دينـاراً خمسـة عشـر مثقـال صيـرفي فيـوازي عشـر ليـرات عثمـانيـة ، والأحـوط لـزومهـا في التسـع . وهـذا هـو النصاب الأول ويجب فيه ربـع العشر ربـع ليرة مثـلاً ، ولا شيء فيما نقص عن ذلك ولو حالت عليه أحوال ثم في أربعة دنانير بعد العشـرين على ذلك القيـاس ، ولا شيء فيمـا دونهـا . أمـا الـزائــد فعلى تلك النسبـة . ونصـاب الفضة الأول مئتا درهم وبـالصيـرفي مـائـة وخمسة مثاقيل ، وفيها ربع العشر خمسـة ثم أربعون ، وكلمـا زادت فعلى هذه النسبـة ولا شيء فيمـا نقص ، فمن مضى عليـه من المكلفين أحد عشـر شهـراً وهـل الثاني عشر مالكاً لذلك القدر عيناً متمكناً من التصرف فيه وجبت عليه زكاته بلغ ما بلغ .

(٣و٤و٥) الأنعـام الثلاثـة الابل والبقـر والغنم:

بشـــرط الملك والحول كمـا مـر والسـوم في تمـامـه وعدم العمل كذلك والنصاب ، ففي الابل اثنـا عشر : (١) خمس فشـاة (٢) عشـر فشـاتـان (٣) خمسـة عشـرة فثـلاث . (٤) عشـرون فـأربـع (٥) خمسـة وعشـرون فخمس (٦) ست وعشـرون فبنت مخـاض (٧) ست وثـلاثـون فبنت لبـون (٨) ست وأربعـون فحقـة (٩) احـدى وسـتـون فجـذعـة (١٠) ست وسبعـون فبنتـا لبـون (١١) احـدى وتسعـون فحقتـان (١٢) مائة وواحدة وعشرون ، ففي كـل خمسين حقة وفي كـل أربعين بنت لبون بـالغاً مـا بلغ ويراعى أوفـر العددين للفقراء ، ففي المـائتين وخمسين خمس حقق لا ست بنـات لبون ، وفي المـائة وسبعين ثـلاث بنات لبـون وحقة لا أربـع بنات لبـون وهكـذا ، وأمـا البقـر فنصابان ثلاثون وفيه تبيع أو تبيعة ، وأربعون فيـه مسنة وهكذا كما مر . وأما الغنم ففيها خمسة نصب:

أربعون فشاة (٢) مائة وإحدى وعشرون فشاتان (٣) مائتان وواحدة فثلاث شياه (٤) فثلاثمئة وواحدة فأربع شياه (٥) أربعمئة ففي كل مائة شاة وهكذا .

(٦و٧و٨و٩) الغـلات الأربع الحنـطة والشعير والتمر والزبيب:

بشـرطين النصـاب ، وهـو خمسـة أوسق يـوازي ثماني وزنات وخمس حقق ونصف إلا ثمـانية وخمسين مثقالاً وثلث مثقال بوزنة النجف أو سبع وعشرين وزنـة وعشر حقق وخمسة وثـلاثين مثقالاً بعيـار أسلامبـول ، وان يملكـه بالـزراعة وينمـو في ملكه ، فلو انتقـل اليه بـالبيع أو الهبة ونحوهمـا فلا زكـاة ، كما لا زكـاة في الأقل والزائد بحسابه ، والواجب العشر إن سقي سيحاً أو بعلاً أو عذباً يعني بماء السماء أو بمص عروقـه ، أو نصفـه إن سقي بـالـدوالي والقـرب أو النـواضـح أو المكـائن ونحوهـا . . ؛ولكن بعد اخـراج المؤن ومنها حصـة السلطان ، ولو سقي بهمـا فالأغلب ولـو تساويـا قسط ويتعلق الوجوب عند صدق الاسم ، وفي الزبيب يصـدق إسم العنب ، فلو تلفت قبـل أو انتقلت عـن ملكـه فـلا زكـاة ولا ضمـان ، ومستحقهـا الأصنـاف الثمانية :﴿ **الفقراء والمساكين** ﴾ وهـم الذين لا يملكون قـوت سنتهم لهم ولعيـالهم الـواجبي النفقـة ، ويكـون عـاجزاً عن تحصيـل الكفايـة بالصنعـة ، ﴿**والعـاملون عليهـا** وهـم السعاة ، ﴿**والمؤلفـة قلوبهم**﴾ وهـم الـذين يستمالون لمساعدة المسلمين وإن كانوا كفاراً ، ﴿**وفي**

الـرقـاب﴾ وهم المكـاتبـون والعبيـد تحت الشـدة ، ﴿والغارمون﴾ أي المدينون في غير معصية الله ، ﴿في سبيل الله﴾ وهو كل مصلحة أو قربة عامة كبناء القناطـر والمسـاجد ، ﴿وابن السبيـل﴾ المنقطع بـه في الغربـة وإن كان غنياً في وطنه .

ويعتبـر فيمـا عـدا المؤ لفـة الايمـان بـل وعـدم التجاهر بالمعاصي ، ويعيد المخالف إذا دفعها لمثله ، ولا يجـوز دفعها لـواجبي النفقة ولا للهـاشميين إن كان الدافع من غيرهم ، ولا يجب التوزيع على الأصناف ، ويستحب إخـراجهـا من كـل مـا تنبتـه الأرض ، كمـا يستحب للولي إخراجها من مال الصبي الزكوي .

زكاة الفطرة

تجب على المكلف الحر الغني وهو مـالك قـوت سنته له ولعياله في كل سنة عند هلال شوال ، وتتضيق عند طلوع الشمس على الأحوط والأقوى الى الزوال ، ويجـوز تقديمهـا بنية القـرض ثم الإحتساب ، وتقضى بعد العيد ويجب دفعها عنه وعن كـل من يعول بـه ولو تبرعاً صغيراً أو كبيراً حراً أو عبداً وهكذا . وقدرهـا عن كـل واحد نصف حقـة ونصف وقيـة وواحـد وثـلاثـون

مثقالاً إلا حمصتين بحقة النجف التي هي تسعمئة وثلاثة وثلاثون مثقالاً وثلث وبالاستانة حقتان وثلاثة أرباع الوقية ، ومثقالان إلا ربع ، وتجب فيها النية ودفعها لمستحقي زكاة المال ، والأفضل دفعها الى الإمام عليه السلام ، ومع غيبته الى نائبه العام من المجتهدين الجامعين للشرائط ، ويستحب من الفقير حسب إمكانه ولو بأن يصرفها على عياله ، وتخرج من الحنطة والشعير والأرز واللبن وغيرها من القوت الغالب .

الخمس

وهو حق آل بيت محمد صلوات الله عليه وعليهم والمتهاون به يخشى أن يعد في الغاصبين لحقوقهم والظالمين لهم ، ويجب على كل مكلف . والأحوط أن يخرجه الولي عن الصبي من أمواله التي يتعلق بها الخمس وهو في سبعة أشياء :

الغنائم والغوص والمعادن وأرباح التجارات والصناعات والزراعات والكنوز وأرض الذمي إذا اشتراها من مسلم ، والحرام المختلط بالحلال المجهول المقدار والمالك ، ولا يتميز مع عدم العلم بزيادته على الخمس ، ويعتبر في المعادن والكنوز والنصاب وهو عشرون ديناراً بعد مؤونة الاخراج ، وفي الغوص دينار ، وفي الأرباح ما زاد عن مؤونة السنة له ولعياله مقتصداً ، ويجب في الزائد . ويقسم الخمس من تلك الأمور ستة أقسام :

ثلاثة للإمام عليه السلام ومع غيبته تدفع لنائبه وهو

المجتهـد الثقـة الأمين وثـلاثـة للفقـراء والأيتـام وأبنـاء السبيل من السادة مع التزامهم بشـريعة جـدهم (صلى الله عليه وآله) وفقرهم .

والأنفـال وهي كل أرض خـربة بـاد أهلها ، وكـل أرض لم يـوجف عليها بخيـل ولا ركاب ، وكـل أرض سلمهـا أهلها من غيـر قتال ، ورؤوس الجبـال وبـطون الأوديـة والموات والآجـام وصـوافي الملوك وقـطايعهم غيـر المغصوبـة ، وميراث من لا وارث لـه ، والغنـائم المأخوذة بغير إذن الامام عليـه السلام ، وأمـرها بعـده لحـاكم الشـرع . وقـد أبـاحـوا صلوات الله عليهم لشيعتهم خصـوص المساكن والمتـاجـر والمنـاكـح من الغنائم .

﴿تنبيه﴾ يستحب مؤكداً على ولي الصبي من أبيـه وغيـره تمـرينـه بعـد السبـع أو التسـع على الصـلاة ، والإمتنـاع عن المحرمـات التي فيها قبـح ذاتي كالزنى والكـذب والسرقـة ، لا نسبي كدخـول المسجـد جنبـا ومس القـرآن محدثـاً ويمنعه عمـا فيه ضـرر على ذات الفاعل كشرب الخمر والنجس وأكل الميتة . والأحكام الشرعية كلهـا تشتمل على مصـالح ومفـاسد تعـود الى نفـع المكلفين . والله غني عن العـالمين ولـه الحمـد والمجد والفضل والمنة .

الباب الثالث

في الآداب والإِخلاص

النهي عن الكلام القبيح

قال سبحانه في كتابه المجيد : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً شديدا يصلح لكم أعمالكم**﴾[1] أشار تعالى الى تلازم هذه الأمور بعضها لبعض ، فالإيمان بالله يستلزم تقوى الله ، والتقوى تستلزم سداد القول ، وسداد القول يستلزم صلاح العمل . فمن لا سداد له لا تقوى له ، ومن لا تقوى له لا إيمان له . وسداد القول هو أن تصيب به مواضع الصواب من الغرض الصحيح المشتمل على فائدة مشروعة لك أو لغيرك، فكل كلام خلي عن الفائدة فهو غير سديد . وهذا أول مراتب قبح الكلام ، كما أن لحسن

(١) الأحزاب سورة٣٣ . آية٧٠ ـ ٧١ .

الكلام مراتب مترامية في العلو ، فكذلك لقبحه مراتب متوالية في السقوط ، فأول مراتب قبحه خلوه من الفائدة كأكثر محاوراتنا اليومية مع عشرائنا ـ اني أكلت كذا وشربت كذا وذهبت الى فلان وجاءني فلان وأمثال ذلك مما لا يعود بفائدة على السامع ولا على المتكلم ـ وقد يكون أشد قبحاً كما لو كان مشتملاً على الفاظ السفلة ومسلوبي الحياء الذين لا يبالون بما قالوا ولا بما قيل فيهم ، وأشد قبحاً من ذلك أن يكون الكلام كذباً وغير مطابق للواقع . وأشد قبحاً منه أن يكون مشتملاً على إيذاء الغير وهتك حرمته وإن كان صدقاً ، فضلاً عما لو كان كذباً وبهتاناً ، وذلك كالسب والفحش والتهم والتعرض لذكر عيوب الناس قال تعالى : ﴿**ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان**﴾[1] وأصل النبز التعيير ، أي لا يدعو بعضكم بعضاً بلقب يكرهه ، مثلاً لو كان رجل أبوه كناس فلا تقل هذا ابن الكناس وإن كان حقاً ، وقد جعل الله سبحانه التعاير والتنابز بالألقاب في الآية موجباً للفسق والخروج عن الايمان ، وأشد قبحاً من الجميع أن تذكره في غيبته بما يسوؤه كما سبق بيانه .

---

(١) الحجرات سورة٤٩ . اية (١١)

في الكلام الكذب

قال تعالى : **﴿ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾**[2] وقد عرفت أن الكذب هو نقل ما يعلم الانسان أنه خلاف الواقع وهو من أخس الرذائل الموجبة للإنسلاخ من شرف الانسانية ، وذهاب الحياء والمروءة والسقوط من أعين الناس ولا يفلح الكاذب أبداً .

وقال تعالى **﴿الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾**[1] وما عز كاذب ولو طلعت الشمس من بين عينيه ، ولا ذل صادق ولو اجتمع الناس كلهم عليه .

وقال بعض الأئمة (عليهم السلام) : لئن يضرك الصدق وقليلاً ما فعل ـ خير من أن ينفعك الكذب وقليلاً ما فعل ـ يعني ضرر الصدق ـ وقليلاً ما يكون الصدق ضاراً (لأن النجاة في الصدق) ، خير من نفع الكذب وقليلاً ما يكون الكذب نافعاً .

اليمين الكاذب

يزداد قبح الكذب وحرمته اضعافاً مضاعفة إذا

---

(٢) الزمر سورة٣٩ . آية (٦٠) .

(١) النحل سورة١٦ . آية (١١٦) .

حلف الكاذب عليه وفي الحديث : (اليمين الغموس تذر الديار بلاقع) ، يعني اليمين الكاذبة تخرب الديار وتبيد أهلها وتذرها قاعاً صفصفا . وقال تعالى في القرآن : ﴿**ولا تطع كل حلّاف مهين**﴾ الى قوله ﴿**عتل بعد ذلك زنيم**﴾[٢] والحلف مطلقاً غير محمود صادقاً كان الحالف أو كاذباً فإنه يدل على مهانة الشخص واستحقاره لنفسه ، وانه ممن لا يوثق بكلامه حتى يعضده باليمين ـ وهو مما يوجب ريبة السامع أيضاً ، وإلا فالصادق مستغن عن ذلك فإن الحق رهين بتصديقه لا اليمين ـ ومن لا يبالي بالكذب لا يبالي باليمين ، فاليمين عبث صرف .

في النهي عن الإسراف في الأكل والشرب

قال تعالى : ﴿**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾[١]. قال إمامنا زين العابدين سلام الله عليه جمع الطب كله في كلمتين : ﴿**كلوا ولا تسرفوا**﴾ . وما أصدق ما قال ، فإن الإنسان لو واظب على الاقتصاد في أكله وشربه لم يمرض أبداً ولعاش

---

(٢) القلم سورة٦٨ . آية (١٠ ـ ١٣) .

(١) الأعراف سورة٧ . آية (٣١) .

عمره الطبيعي متمتعاً بنعيم الصحة والعافية التي لا تقدر بثمن ، فإن جميع الأمراض تنشأ في الأغلب من زيادة الأكل على مقدار حاجة البدن ، وما تتحمله القوة الهاضمة ، فتستحيل تلك الزيادة التي تعجز الطبيعة عن إكمال التصرف فيها الى فضلات فتاكة وسموم مهلكة - تثير على الأعضاء الرئيسية من الجسم ، كالقلب والكبد والرئة حرباً شعواء بأمراض مختلفة قد تؤدي الى الهلاك .

في الصحة

الصحة رأس مال الإنسان ومادة حياته وأساس وجوده ، فإذا اختلت صحته اختل وجوده وفسد عقله وقد قالوا - وحقاً ما قالوا - العقل الصحيح في الجسد الصحيح - ثم بعد اختلال صحته ، إما أن يعود فريسة للموت أو يبقى برهة من الأيام منغص الحياة رهين العلل والأسقام . وأكبر سبب في فقد الصحة هو ما عرفت من الإسراف في الأكل وحقيقة الإسراف تضييع الوسط والانحراف عن نقطة الاعتدال ، فمن أعطى جسمه من الأكل دون مقدار حاجته وأقل من كفايته فقد أسرف كإسراف من أعطاه فوق حاجته وأكثر من قابليته ، كل منهما يوجب اختلال الصحة وفقد الحياة والقوة لأنهما طرفا إفراط

وتفريط وخروج عن الاعتـدال[1].

الاعتدال في الطعام

حيث أن الأكثـر في الناس أنهم يـأكلون أكثـر مـا يحتاجون اليـه طلباً للتلذذ والتنعم غـافلين عن الحكمة السامية في الكلمة المعروفة (إن الانسان يـأكل ليعيش لا يعيش ليـأكل) . والشهيـة غالبـاً أكثر من الحـاجة ، فالمنهومون يشتهون الأكل غالبـاً وهم محتاجون إليه . لذلك وجب نصب ميزان لكل انسان كي يزن بـه مقدار حاجته الى الأكل حتى لا يتجاوزه فيقع في المهالـك . وأحسن ميزان ، وأصح معيـار ، للأكـل النافـع وتعيين مقـدار الواجب منـه للبدن ، أن لا يـأكـل الإنسـان إلا

(١) يتفق علمـاء الـطب وعلمـاء النفس في العصـر الحـاضـر على وجـود علاقـة وثيقـة بين العقـل والجسم ، وينبغي التسليم بـأن العقـل السليم في الجسم السليم وبالعكس فـإن الجسم السليم في العقـل السليم . وكما أن المـرض الجسمي الحقيقي يشـل الفكـر والعقـل، كـذلـك فـإن الهمـوم والقلق النفسي والـوهم والـوسوسـة والخيال والمشـاكـل الشخصيـة والانفعالات الشديدة والعواطف السيئة التي تـطرأ للفرد تضـر بجسمه ضـرراً بالغـاً ، وتجعله قابلاً لمختلف الأمراض الميكروبية المعدية أو الأمراض العضوية غير المعديـة . وتتوقف الحـالة العقليـة السليمة للفـرد على حسن تربيته في الصغر وتلبية حاجاته العضوية والنفسية في الصغر والكبر ولا يتم ذلك إلا في بيئة إجتماعية صالحة مـوجهة نحـو الخيـر والبنـاء والابـداع خـاليـة من الـظلم والاستغـلال والشرور .

وقت إحساسه بفراغ معدته واستكمال شهيته الى الطعام ، فلا يكتفي بالشهوة وحدها ولا بالفراغ وحده ، فإن الشهوة كما عرفت هي التي تحمل الإنسان غالباً على أن يأكل أكثر من حاجته فتطرحه على فراش العلل والأسقام . كما أن الفراغ مع عدم الشهوة يوجب كون الطعام ثقلاً على الطبيعة فلا تتوجه الى هضمه الصحيح لعدم ميلها إليه، فاللازم ان لا يأكل إلا مع الحاجة والرغبة وإذا أكل مع هذين الوصفين فاللازم أن يرفع يده مع بقاء شيء من الشهوة ولا يستقصيها ، وهذا هو الميزان الصحيح لمقدار الأكل النافع المشار اليه في بعض الأحاديث : (كل وأنت تشتهي وقم وأنت تشتهي) . وأعلى منه قوله عليه السلام وهو من جوامع الكلم ومعجزات الحكمة : (المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء) . وقوله صلى الله عليه وآله : (ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ، ويكفي المؤمن لقيمات يقيم بها صلبه) . فيجب على كل إنسان أن يضع هذه الحكم السامية نصب عينيه دائماً ليتمتع بنعيم الصحة والعافية طول عمره إن شاء الله .

آداب الأكل

للأكل آداب شرعية كلها تعود الى منافع صحية

وتدابير للحياة ذات أهمية . أهمها غسل اليدين قبل الأكل وبعده ـ وأهم منها تصغير اللقم وتجويد المضغ ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في جهة آداب الأكل : (صغر اللقم وجود المضغ) .

وأنت تعلم أن الصانع الحكيم الذي صنع بباهر حكمته وقاهر قدرته هذا الهيكل الانساني ، قد جعل لكل عضو من أعضائه وظيفة تخصه ولا يقوم بها غيره : فوظيفة الفم والأسنان الهضم الأول للطعام ، والمعدة لها وظيفة أخرى من العمل . وتحويل ما يصل اليها بعد إستكمال الوظيفة الأولى فيه الى لحم ودم يكون بدل ما يتحلل من البدن ، فإذا انحدر الطعام من الفم الى المعدة غير تام المضغ كابدت المعدة ما ليس من وظيفتها ، واشتغلت بذلك عما يخصها من وظيفتها ، وهذا ينهكها بل يهلكها ، وينشأ من ذلك حدوث أمراض لا علاج لها . فتجويد المضغ وتصغير اللقم المعين له ، له الغاية القصوى من الأهمية في حفظ الصحة وضبط أصول العافية .

الموضوع . . . . الصفحة

الموضوع .... الصفحة

الموضوع .... الصفحة